مجلس شورى العلماء يعقد المؤتمر الأول لأئمة ودعاة مصر

التوحيد

مشكلة التأخر في دفع الأقساط

مجلة إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية العدد ٤٩٢ - السنة الحادية والأربعون - ذي الحجة ١٤٣٣ هـ

الثمن جنيهان



إلا تنصروه فقد نصره الله

- مقاصد الحج ومنافعه
- التكبير فضائل وأحكام
- الأجوبة عن أسئلة الأضحية

إلا رسول الله

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الحادية والأربعون

العدد ٤٩٢

ذو الحجة ١٤٣٣هـ



التحرير

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

السلام عليكم

النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأقلام مخالفيه ..

قال أحدهم: إن محمداً لم يغرس في نفوس الأعراب مبادئ التوحيد وحسب، وإنما غرس فيهم المدنية والأدب.

ويقول آخر: «تراثك يا ابن عبد الله ينبغي أن يُحيا، لا في النفوس ولا في القلوب فحسب، وإنما في واقع الحياة، فيما يعاني الناس من أزمات، وفيما يعترضهم من عقبات.

تراثك يا ابن عبد الله مدرسة يُلقى على منابرها كل يوم عظة ودرس، فكل سؤال له عندك جواب، وكل مشكلة مهما استعصت وتعقدت وجدنا لها في آثارك حلاً.

ويقول أيضًا:

لم يكن محمدٌ [صلى الله عليه وسلم] مجرد داعية يدعو الناس إلى الإيمان، وإنما كان زعيمًا وقائد شعب، عزم على أن يجعل من ذلك الشعب خير أُمة أُخرجت للناس، وقد كان له ما أراد».

التحرير

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

فى هذا العدد



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الامارات ٦ درهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد. على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد. أنصار السنة، حساب رقم/ ١٩١٥٩٠

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكترونى التالي:
q.tawheed@yahoo.com

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

مقاصد الحج ومنافعه

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com



الحمد لله الذي امتن علينا بأفضل الشرائع والأحكام، وبين لنا الحلال من الحرام، والصلاة والسلام على المصطفى المختار، وعلى آله وصحبه الطيبين الأبرار، وبعد:

فإن الحج ركن عظيم من أركان الإسلام، وفضله ومكانته ظاهرة للعيان، ويكفينا في بيان ذلك ما صح به الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم الوارد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مَن حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» [أخرجه البخاري]. قال ابن حجر رحمه الله: «أي بغير ذنب، وظاهره غفران الصغائر والكبائر والتبعات». [فتح الباري: ٣/٣٨٣].

وهذا أول منافع الحج وفوائده؛ حيث يعود الحاجّ كأنه طفل بريء نقي لم يتلوث بالمعاصي والذنوب والسيئات، كما قرن النبي صلى الله عليه وسلم بين الحج والجهاد، مما يدل على فضل الحج ومكانته، ففي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور. [البخاري: ١٥١٩].

فوائد الحج وفضائله:

ومن أبرز فوائد الحج: تحقيق التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده دون سواه، وهذا ظاهر جدًّا في مناسك الحج وأعماله، فالحاج عندما يدخل في النسك يُسن له ترديد شعيرة عظيمة من شعائر الحج، ألا وهي التلبية، وكلماتها ناطقة بالتوحيد، معلنة بإسلام الوجه لله تعالى دون شريك، وفي البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك». [البخاري: ١٥٤٩].

ولما صعد النبي صلى الله عليه وسلم على جبل الصفا نطق لله بالتوحيد، وعظّمه، وأثنى عليه، كما في حديث جابر بن عبد الله في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رقى على الصفا استقبل القبلة، ووحد الله وكبره وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده». [مسلم: ١٢١٨].

وفي هذا محو للشرك وإنهاء له في مكة المكرمة التي كانت قبل قليل تحارب الموحدين، وفي أول موسم للحج الذي كان إمام المسلمين فيه الصديق رضي الله عنه تنزل سورة براءة على النبي صلى الله عليه وسلم لتعلن إنهاء العلاقة بين التوحيد والشرك، ليكون الدين كله لله، قال الله تعالى: «وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» [التوبة: ٣]. وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بعثني أبو بكر رضي الله عنه في تلك الحجة في المؤذنين، بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان». قال حميد: ثم أردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب فأمره أن يؤذن ببراءة. قال أبو هريرة: فأذن معنا عليٌّ في أهل منى يوم النحر ببراءة، وألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. [البخاري: ٤٦٥٦].

قال ابن كثير رحمه الله: «وأول هذه السورة الكريمة نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك وهمَّ بالحج، ثم ذكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عادتهم في ذلك، وأنهم يطوفون بالبيت عراة، فكره مخالطتهم، وبعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميرًا على الحج تلك السنة؛ ليقيم بالناس مناسكهم، ويعلم المشركين ألا يحجوا بعد عامهم هذا، وأن ينادي في الناس (براءة

من الله ورسوله)، فلما قفل أتبعه بعلي بن أبي طالب ليكون مبلغًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه عصبة له». [تفسير ابن كثير ٤٥٢/٢].

وإعلان هذه البراءة فيه هدم لجميع قواعد الجاهلية التي بُنيت على الشرك بالله جل في علاه.

منافع الحج:

ومن منافع الحج: إبراز روح الأخوة الإيمانية بين المؤمنين؛ تحقيقًا لقول رب العالمين: « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » [الحجرات: ١٠]، والعالم اليوم يشهد ألوانًا عديدة من الصراعات تقوم على أساس الجنس أو اللون أو الثروة، والإسلام لا يعرف ذلك، ويظهر هذا في الحج بصورة واضحة، فلا إقليمية، ولا عنصرية، ولا عصبية لجنس أو لون، فالجميع في ثياب واحدة وعلى أرض واحدة، ولو دققت النظرات في أحوالهم لعرفت أن الوزير يقف ويعمل ما يعمله الغفير، والأستاذ الجامعي يشارك الطالب، وهم مع هذا يهتفون هتافًا واحدًا، ويتوجهون إلى رب واحد، وقبلة واحدة، ولا يتمايزون إلا بالتقوى، وقد نفى القرآن الكريم أن يكون اختلاف الناس إلى شعوب وقبائل وما يترتب على ذلك مبررًا للمفاضلة بين الناس، كما ينادي به بعض الناس اليوم، بل ينظر إلى هذا الاختلاف على أنه سبب للتعارف واللقاء، وليس للتخاصم والتنافر، أو البغي والتعاظم، وأشار إلى سبب المفاضلة الحقيقي، فقال الله تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » [الحجرات: ١٣]، وقد بينت الآية أن الفضل والكرم إنما هو بتقوى الله، لا بغيره من الانتساب إلى القبائل، أو المال والجاه، ورحم الله من قال:

فقد رفع الإسلام سلمان فارس
وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب

وفي الآية اعتناء بالأنساب، وأنها شرعت للتعارف، وذم التفاخر بها، وأن التقي غير النسيب مقدم على النسيب غير التقي، قال ابن كثير رحمه الله: «وقد استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الكفاءة في النكاح لا تُشترط، ولا يُشترط سوى الدين». [تفسير ابن كثير ٢٧٩/٤].

وقال القاسمي رحمه الله في تفسيره: «لا كرامة بالنسب، لتساوي الكل في البشرية المنتسبة إلى ذكر وأنثى، والامتياز بالشعوب والقبائل إنما يكون لأجل التعارف بالانتساب، لا للتفاخر، فإنه من الرذائل، والكرامة لا تكون إلا بالاجتناب عن الرذائل الذي هو أصل التقوى، ثم كلما كانت التقوى أزيد رتبة، كان صاحبها أكرم عند الله وأجل قدرًا». [تفسير القاسمي ٥٤٦٩/١٥].

وقد ورد في معنى هذه الآية أحاديث كثيرة منها ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: «قِيلَ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: أَتْقَاهُمْ. فَقَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ. قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونَ؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا». [البخاري: ٣٣٥٣]، وفي الحج تظهر هذه المعاني الإيمانية في غاية الوضوح، وصدق من قال وهو يصف موقف الناس في الحج:

أرى الناس أصنافا ومن كل بقعة
إليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا فلا أنساب فيها تفاوت
لديك ولا الأقدار مختلفات

من منافع الحج: إبراز روح الأخوة مع المؤمنين، والعالم اليوم يشهد ألوانًا عديدة من الصراعات تقوم على أساس الجنس أو اللون أو الثروة، والإسلام لا يعرف ذلك، ويظهر هذا في الحج بصورة واضحة، فلا إقليمية، ولا عنصرية، ولا عصبية فالجميع في ثياب واحدة يتوجهون إلى رب واحد وقبلة واحدة ملبين ومهللين.

من منافع الحج: تعويد الحاج مكارم الأخلاق، والصبر والتحمل والإيثار، وحب الخير للآخرين، ومشاركتهم في أفراحهم وهمومهم، كما يتعود الحاج ضبط اللسان، وكبح النفس الأمارة بالسوء، والنظام والدقة، وحسن ترتيب الأمور، والمحافظة على الوقت وقيمته.

من ثمرات الحركة العلمية في موسم الحج:

من المنافع الكبيرة التي تحدث في موسم الحج تلك الحركة العلمية القوية التي تتم فيه، سواء كانت في الحرمين الشريفين، أو في مخيمات الحج في منى وعرفات، ومن المعلوم أن مكة - حرسها الله تعالى - تُعتبر من أكبر المراكز العلمية في العالم الإسلامي، حيث يقصدها العلماء وطلبة العلم من كل بقاع الدنيا، وهناك يلتقي العلماء ويتحاورون ويتناقشون، ومع امتداد الحركة العلمية في المملكة العربية السعودية اليوم وانتشار الجامعات بها، والمؤسسات العلمية المختلفة نرى نشاطًا علميًا ملحوظًا في موسم الحج يتمثل في توزيع الكتب والرسائل على الحجاج، وعقد ندوات ولقاءات ومحاضرات في مخيمات أقيمت لهذا الغرض تشرف عليها وتنظمها القطاعات المختلفة المشاركة في الحج كدار الإفتاء، ووزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، والجامعات، والحرس الوطني، وغير ذلك، كما عقدت ندوات كبيرة اشترك فيها عدد كبير من العلماء والمثقفين من مشارق الأرض ومغاربها، وكانت تطرح فيها قضايا إسلامية حيوية وتناقش من أهل العلم والتخصص، وأذكر هنا على سبيل المثال عناوين بعضها:

١- «ندوة القدس والمسجد الأقصى في ضمير العالم الإسلامي» وقد عقدت في حج عام ١٣٩٩هـ.

٢- «ندوة العودة إلى الله طريق النجاة» وقد عقدت في حج عام ١٤٠١هـ.

٣- «ندوة الإيمان وأثره في سلوك الحاج» عقدت في عام ١٤٠٢هـ.

وبعض العلماء الذين كانوا يفدون إلى بلاد الحرمين للحج والعمرة كان يمكث فيها، وينتج عن ذلك الإسهام في إثراء الجوانب العلمية المختلفة، وتتلمذ على يد هؤلاء الآلاف من طلاب العلم، وقد تمتع بعض هؤلاء العلماء الأعلام بمكانة اجتماعية كبيرة أوصلت بعضهم إلى وظائف علمية وعملية كبيرة كالتدريس في المعاهد العلمية والجامعات، ومن هؤلاء: الشيخ / محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ/ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ / حماد محمد الأنصاري، والشيخ / عطية سالم، رحمهم الله جميعًا، وبعضهم نال شرف الإمامة في الحرم المكي الشريف، ومن هؤلاء: الشيخ / عبد الرزاق حمزة، والشيخ / عبد الظاهر أبو السمح، رحمهما الله تعالى، وكانا من علماء وأئمة أنصار السنة المحمدية.

الحج ومكارم الأخلاق:

من منافع الحج: تعويد الحاج مكارم الأخلاق، وجميل الطباع، والصبر والتحمل والإيثار، وحب الخير للآخرين، ومشاركتهم في أفراحهم وهمومهم، كما يتعود الحاج ضبط اللسان، وكبح النفس الأمارة بالسوء، والنظام والدقة، وحسن ترتيب الأمور، والمحافظة على الوقت وقيمته، والناظر إلى أعمال الحج ومناسكه يدرك ذلك، فكل نسك له وقت محدد لا يسبق غيره، وكل ركن من أركان الحج له وقت معين، وخصوصية معينة، فترتيب المناسك ترتيبًا عمليًا وزمنيًا فيه تعويد حب النظام والترتيب، وحسن الأداء في العمل، وهذا يعطي صورة مشرقة عن الإسلام وأهله أمام أدعياء التقدم والمدينة، ويثبت للجميع أن الإسلام دين الحياة المستقيمة على طريق الهدى والنور، وهو فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومن منافع الحج العظيمة:

«ما يعود على بلاد الحرمين والوافدين إليها للعمل من سعة في الأرزاق؛ من خلال ألوان متعددة من التجارات، وهذا أمر مشروع أباحه رب العباد، قال الله تعالى: «وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ

ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ » [الحج: ٢٧ – ٢٨]، وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في المواسم، فنزلت: « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ » [البقرة: ١٩٨]. (البخاري: ٤٥١٩).

وقد أفادت الآية الترخيص لمن حج في التجارة ونحوها من الأعمال التي يُحَصِّل بها شيئًا من الرزق، وهو المراد بالفضل هنا، والمعنى: لا إثم عليكم في أن تبتغوا في مواسم الحج رزقًا ونفعًا، وهو الربح في التجارة مع سفركم لتأدية ما افترضه الله عليكم من الحج.

أسواق مكة وخيراتها:

وقد نالت مكة والمدينة شهرة تجارية واسعة استقطبت كثيرًا من تجار العالم الإسلام، ومكة تتميز عن غيرها في ذلك، ولعل موقعها على طريق القوافل التجارية من اليمن إلى الشام، وكذلك وجود بيت الله الحرام منذ بعيد أعطى لها أهمية تجارية عالمية.

وقد زخرت مكة المكرمة والمدينة النبوية بأسواقها المتعددة التي امتدت حول الحرمين الشريفين، وفي العصر الحاضر انتشرت التجارة فيها انتشارًا واسعًا، وأصبحت فيها أسواق متخصصة لكل ما يحتاجه الناس، وهذه الأسواق تُجلب إليها من بقاع الدنيا، وقد شاهد ابن بطوطة ذلك، وذكر أن سوق مكة كان يغص بالفواكه والخضروات كالتين والعنب والرمان، إلى جانب العسل وقصب السكر والتمور والزبيب الجيد، كما كانت تشتهر مكة بالأنعام القادمة لها من ضواحيها، خاصة في المواسم، فقد كثر بها أنواع اللحوم والألبان، كما اشتهرت مكة بصناعة الحلوى وتجارتها، وقد وصفها ابن جبير بالجودة وحلاوة المذاق، وقد وصفها بقوله: «إنها تفيد الأبصار وتستنزل الدرهم والدينار». [الرحلة لابن جبير/ ٩٨].

وأريد أن أشير هنا إلى أن أسواق مكة وخيراتها كانت متصلة عبر القرون، لا تنقطع تجارتها، ولا تقل خيراتها، وقد أمسك المكيون فيها بزمام التجارة، فكانوا يشترون ما يصل إليهم من منتجات مكة وضواحيها، وكذلك ما يصل إليها من مختلف أنحاء المعمورة ليبيعوه من جديد على الحجاج والمعتمرين، ولعل تنوع الأجناس البشرية وحاجياتهم المختلفة جعل للنشاط التجاري رواجًا مزدهرًا في موسم الحج، هذا علاوة على ما يحتاجه سكان الحجاز، وأهل البلاد المجاورة من ضروريات وكماليات، وقد صاحَبَ النشاط التجاري في الحج استخدام كثير من الأساليب التجارية والمالية، كالمكاييل المتنوعة، الشامية، والمصرية، والعراقية وكذلك الموازين.

كما راجت أنواع العملات المختلفة لسائر البلاد، واليوم ومع التقدم السريع والتقنية الحديثة ابتكرت ألوان جديدة من التجارات، تمثلت في وسائل المواصلات والاتصالات، بل الدور والعقارات وغير ذلك، زاد إقبال الناس اليوم بسبب هذه الوسائل بعد فضل الله وتوفيقه حتى أصبح الملايين من المسلمين يغدون على مدار العام إلى أرض الحرمين الشريفين، استجابة لدعاء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام -: « رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ » [إبراهيم: ٣٧]. وقد سعدت بذلك البلاد والعباد، وتحقق فيهم قول رب الأرباب: « لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ » [الحج: ٢٨].

والله ولي التوفيق والسداد.

من أبرز فوائد الحج: تحقيق التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده دون سواه، وهذا ظاهر جدًا في مناسك الحج وأعماله، فالحاج عندما يدخل في النسك يُسن له ترديد شعيرة عظيمة من شعائر الحج، ألا وهي التلبية، وكلماتها ناطقة بالتوحيد، معلنة بإسلام الوجه لله تعالى دون شريك.

مجلس شورى العلماء يعقد المؤتمر الأول لأئمة ودعاة مصر

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

● المكان:

منية سمنود، وفي ضيافة الشيخ مصطفى العدوي، حفظه الله.

● برعاية:

مجلس شورى العلماء.

● المناسبة:

انعقاد الملتقى الدعوي الأول لأئمة علماء مصر ودعاتها.

● الحضور:

كوكبة من العلماء والدعاة من أنحاء مصر.

● السبب:

بحث هموم الدعوة، ووضع الأسس والخطط لتوحيد الصفوف والجهود للنهوض بالدعوة.

حمل راية القرآن والسنة.. ونبذ التعصب

وسط مَشهد مَهيب ينشرح له الصدور، وتنفرج له الأساريرُ منذ وصولنا إلى منية سمنود موطن الشيخ مصطفى العدوي، ونحن نرى شباب الدعوة يقفون مصطفين للترحيب بعلماء ودعاة مصر الذين جاءوا من أنحاء البلاد يحملون همّ الدعوة إلى الله سبحانه في حضور كوكبة من الدعاة والعلماء والمشايخ من أنحاء مصر، والتنظيم المُبْدع للمؤتمر، والاستضافة الكريمة للضيوف.

وبدأ المؤتمر بكلمة الترحيب التي ألقاها فضيلة الدكتور عبد الله شاكر، رئيس مجلس شورى العلماء أكد فيها على أن المؤتمر سوف يركز على وضع منهج علمي صحيح للدعوة في مصر خاصة، وأن الناس تنتظر منا عملاً دعويًا للنهوض بالدعوة وسط الأجواء الطيبة المفتوحة للدعوة، وضرورة استغلال تلك الأجواء، والتصدي للفرْقة والخلاف والتشرذم بين جماعات الدعوة، مستشهدًا بقول رب العزة سبحانه: «وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ» [الأنفال: ٤٦].

وقد أكدَّ الشيخ في كلمته على ضرورة

الدعوة على منهج صحيح وهو منهج السلف القويم، والتمسك بهذا المنهج، والذي على رأسه كتاب الله وسُنَّة رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم بفهم السلف الصالح الذين ملأوا الدنيا علمًا، ولم يخرجوا قيد أنملة على منهج رسولنا صلى الله عليه وسلم، وأن ولاءنا لله سبحانه وتعالى؛ فلا نوالي إلا أهل الإيمان، ونتبرأ من غيرهم، وأن منهج أهل السُّنَّة والجماعة هو التوسط والاعتدال، فلا نعادي أحدًا من أهل العلم وهم كُثر، وإنما نوالي من والى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وحمل راية القرآن والسُّنة بفهم سلف الأمة، وعدم التعصب لفرقة بعينها.

إحياء الربانية وتجديد الإيمان في القلوب

وفي الكلمة التي ألقاها الشيخ محمد حسان -نائب رئيس مجلس شورى العلماء- وضع تصورًا يجب التركيز عليه في نقاط محددة:

١- إحياء الربانية، وتجديد الإيمان في القلوب، بعد الانشغال بالعمل السياسي في مصر.

٢- التركيز على قضية الدعوة، وإبراز الغاية منها، قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » [الذاريات: ٥٦]، فالناس قد انشغلوا بالأمور السياسية والتجاذبات الحزبية في الفضائيات، فكان لا بُدّ من إحياء الإيمان في نفوس المسلمين.

٣- أن يكون خطابنا الدعوي مطمئنًا للمسلمين وغير المسلمين، فربما تقع منا كلمات تثير القلق والخوف في نفوس الآخرين، فالكلمة تستمد قُوَّتها من الصدق ومن الحق، وليس من الصوت العالي، ونحن أصحاب منهج الحق، فمنهجنا الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

٤- التطهير والتغيير، قال تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ » [الرعد: ١١].

٥- تأصيل فقه الخلاف وأدبه، وعدم نقل مسائل الخلاف إلى المنابر والفضائيات.

٦- تأصيل منهج الحب في الله، فنحن جميعًا نحتاج إلى هذا التأصيل.

٧- تقوية أواصر الأخوة في الله المبنية على العقيدة الصحيحة.

٨- التركيز على نبذ التعصب للأشخاص، وإحياء قيمة العمل وهو ما تحتاج إليه أمتنا في الوقت الراهن.

٩- تركيز الخطاب الدعوي على التصالح والتآلف، والموضوعية في الطرح، ومراعاة الممكن والمتاح.

١٠- البعد عن لهجة الإثارة، والتركيز على تغليب منهج الرفق واللين، وتجنب صناعة الأعداء.

١١- تقدير دور المؤسسات الدينية الرسمية، وعدم التقليل من شأنها، وعدم الدخول في صدامات معها، وبثّ الأمل في نفوس المسلمين.

> **المرحلة الحالية تقتضي تأصيل فقه الخلاف وأدبه، وعدم نقل مسائل الخلاف إلى المنابر والفضائيات، وتقوية أواصر الأخوة في الله المبنية على العقيدة الصحيحة، وتركيز الخطاب الدعوي على التصالح والتآلف، وتغليب منهج الرفق واللين .**

إنشاء معاهد علمية وجامعة للبنات

وقد طرح الشيخ مصطفى العدوي في كلمته في الملتقى الدعوي أفكارًا دعوية تساهم في النهوض بالدعوة؛ من خلال إنشاء معاهد للدعاة على أن تبدأ بأربعة معاهد في العجوزة بالقاهرة، وعين شمس، والمنصورة، ومنية سمنود، وكذلك إنشاء جامعة إسلامية للبنات خاصة ومستقلة بكل فروعها وكلياتها، ومناشدة رئيس

الجمهورية بالمساندة في هذا الباب، ومناشدة أصحاب الفضائيات الإسلامية بتبني هذه الأطروحات حتى تخرج إلى حيز التنفيذ بإذن الله تعالى.

التحذير من الفُرقة والتَّحزُّب

وفي كلمته في الملتقى الدعوي الأول لأئمة دعاة مصر أوضح الشيخ محمد إسماعيل المقدم: «أن الله سبحانه يحب الذين يعملون لوجهه صفًا واحدًا كأنهم بنيان مرصوص، وحذر فضيلته من خطر التفرق والتحزب والتشرذم، فالمؤمنون صف واحد كالبنيان يَشُدُّ بعضه بعضًا، واصفًا أعداء الإسلام بالتربص بالمسلمين، وأنهم يرمون أهل التوحيد وأهل السنة بكل ما أوتوا من قوة «إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ» [الأنعام: ١٥٩].

وقد نَفَّرَ الشيخ من الفرقة والتعصب والتحزب، وبيَّن أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطانا المعيار للتعامل مع أهل الدعوة، حين قال: «ليس منا من شق.. إلى أن قال صلى الله عليه وسلم في وصفهم: «ومن دعا بدعوة الجاهلية» الحديث.

وشكر الشيخُ مجلس شورى العلماء، ودعاة مصر وعلماءها الذين جاءوا ليوحدوا الصف والشمل، وليوجهوا الناس ليكونوا مفاتيح خير ضد مفاتيح الشر.

الدعاة يحملون هَمَّ الدعوة

وحول هموم الدعوة تحدث الشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل قائلاً: إن الناس قد اعتادوا الحضور إلينا في المساجد والمنتديات ليسمعوا منا، وقد تعودنا على ذلك، ولكن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم كانت في الأسواق والمنتديات، وهو قسم من الدعوة قد افتقدناه في زماننا هذا، وتركنا قسمًا ضخمًا من المجتمع لدُعاة الكفر يلعبون في عقول الناس كما يشاءون، في الوقت الذي انخفض فيه الاهتمام بقضية الشريعة الإسلامية، فبدلاً من أن تكون قضية أمة، أصبحت وكأنها قضية فصيل أو اتجاه!!

وأكد الشيخ على أننا متمسكون بدين الله سبحانه وتعالى، ولا بد من الاعتصام بالكتاب والسنة، وعدم ترك الناس للعلمانيين والليبراليين!!

> **الملتقى الدعوي ينفِّر من الفُرقة والتحزب والتعصب، ويؤكد على أننا منحازون عقديًا لله سبحانه وتعالى، والحاجة ملحة لأن نُظهر انحيازنا إلى الدين وعدم ترك الناس للعلمانيين والليبراليين.**

الاهتمام بالمراكز الإعلامية

وقال الدكتور عاطف عبد الرشيد: إن الإعلام الإسلامي والإعلاميين الإسلاميين مهمّشون بشكل كبير، وإنه يجب إعادة النظر في تلك المسألة لضرورة صناعة إعلامي إسلامي يتبنى القضايا الإسلامية بفكر جيد متوازن ينمّ عن تَدَيُّنه ومعرفته بعلوم الإعلام، فالإعلامي غير الدارس وغير المؤهل قد يصنع أعداءً لا حصر لهم.

كما طالب بضرورة عمل دورات وتوفير الإمكانيات الضرورية لبناء الإعلامي المسلم، مطالبًا مجلس شورى العلماء بإنشاء مركز إعلام إسلامي يرصد ويَرد ويتابع، وإنشاء ما يشبه وحدة لقياس الرأي العام من خلال المتخصصين في الدراسات والبحوث الإسلامية الإعلامية، ووضع قياسات الرأي

العام موضع الأهمية.

السلفية ليست حكراً على شخص أو فئة

وفي المشاركة التي ألقاها الدكتور أحمد النقيب أكد رفضه الذوبان في وسط الأحداث، مؤكدًا على أننا أرباب منهج سلفي له أصوله وله خصائصه، مطالبًا بتفعيل هذا المنهج تفعيلاً كاملاً.

وأضاف النقيب: بأن هذا المنهج لو تحرك في اتجاه الناس لملك قلوب الناس مع الالتزام بالشفافية والمصارحة في تبليغ هذا المنهج.

وقال الشيخ: «إن المناهج التعليمية يتم التلاعب فيها دون أن يدري أحد، وهذا يجعلنا نؤكد على ضرورة المحافظة على المنهج السلفي الصحيح الذي لا ينتسب لأحدٍ في مكان، أو ينحصر في شخص أو مجموعة أشخاص، فمن كان على عقيدة السلف ومنهج السلف فهو سلفي.

وفي نهاية كلمته أكد الشيخ على ضرورة التمسك بـ«المنهج الرباني، والمنهج السماوي، وحراسة الشريعة، فنحن جميعًا شركاء لحماية تلك الشريعة بالتسديد والمقاربة والتآخي، والتناصح والتذكير بقوله صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم» [مسلم].

العلمانيون يلبّسون على عوام المسلمين

وقال الشيخ أحمد أبو العينين: «إن العلمانيين يعملون الآن على جمع كلمتهم، فقد انتبهوا إلى خطورة تلك المرحلة، فنسوا وجنّبوا خلافاتهم واجتمعوا على الكيد للمسلمين، ومحاولاتهم الدءوبة للتلبيس على عوام المسلمين بأنهم هم المؤهلون لقيادة الدولة، وأنهم هم الذين سوف يحفظون للمجتمع حريته وكرامته مطالبًا برفع راية الشريعة، ودرء المفاسد وتغليب المصالح وتكثيرها، ومصارحة بعضنا بعضًا بالأخطاء والسلبيات في كل مناحي الحياة.

> **العلمانيون يعملون الآن على جمع كلمتهم، فقد انتبهوا إلى خطورة تلك المرحلة، فنسوا وجنّبوا خلافاتهم واجتمعوا على الكيد للمسلمين، ومحاولاتهم الدءوبة للتلبيس على عوام المسلمين بأنهم هم المؤهلون لقيادة الدولة.**

أهمية المعاهد العلمية

وقال الدكتور يسري حماد - المتحدث باسم حزب النور- في كلمته التي ألقاها في الملتقى الدعوي الأول لأئمة ودعاة مصر: إن المناخ المتاح حاليًا للدعوة يجب علينا استثماره، مطالبًا بوضع منهج قويم يدّرس من خلال معاهد علمية تُنْشَأ خصيصًا لهذا الغرض؛ تجمع شبابًا يحمل همّ الدعوة، ويحمل منهجًا سلفيًا قويمًا والذي هو كسفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها هلك!!

واختتم المؤتمر الأول لأئمة ودعاة مصر وسط تطلع الحاضرين لتحديد موعد الملتقي الثاني، لنرى ماذا حققنا على أرض الواقع؛ حتى تنطلق قوافل الدعوة إلى القرى والنجوع، إلى المتعطشين في وسط الأحداث المتأرجحة، والمدمية أحيانًا، لنرى بأعيننا عندما نعزم عزمًا أكيدًا أننا سوف نحاول قدر ما استطعنا تحمل واجبات الدعوة إلى الله سبحانه، ونحن نحمل منهجًا ربانيًا، وهو منهج أهل السُنة والجماعة.

وفق الله القائمين على الدعوة إلى ما يحب ربنا ويرضى.

والحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة الزمر

الحلقة الثالثة

قال الله تعالى: « قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ
(١٠) قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ
ٱلْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ
مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى (١٤) فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ (١٥) لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ
ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ »

[الزمر ١٠- ١٦]

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده..

وصية رب العالمين لعباده المؤمنين:

ينادي الله عباده المؤمنين بواسطة رسوله صلى الله عليه وسلم فيقول: «قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا»، فالمنادي هو الله سبحانه، والرسول صلى الله عليه وسلم مُبَلِّغٌ عن الله، يُبلغ النداء كما هو بلفظه وحروفه.

ينادي الله تعالى المؤمنين بلقب العبودية، وهو أشرف الألقاب، ويضيف عبوديتهم إليه، وفي هذه الإضافة ما فيها من التكريم والتشريف، «قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا»، و «الَّذِينَ آمَنُوا» بدل من عبادي، والنداء يراد به التنبيه على ضرورة الإقبال على ما بعده والاهتمام به، «اتَّقُوا رَبَّكُمْ»، والتقوى هي وصية الله تعالى للأولين والآخرين، كما قال تعالى: «وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ » [النساء]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي بها أصحابه في المحافل العامة والمجامع العظيمة، وكان إذا بعث بعثًا أمَّر عليهم أميرا ووصَّاه في خاصة نفسه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيرًا.

وأصل التقوى أن تجعل بينك وبين ما تخافه وتحذره شيئًا يقيك إياه، فمعنى تقوى الله أن تجعل بينك وبين الله ما

يقيك ما تخافه وتحذره من غضبه وعذابه، ولا شيء يقي من عذاب الله مثل طاعته بفعل ما به أمر، وترك ما نهى عنه وزجر، وتلك هي التقوى.

ولا شك أن المؤمنين متقون، فالأمر لهم بالتقوى أمر بالثبات عليها والزيادة منها، كما أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بها أيضا، وهو أتقى الناس لله، فقال له: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ» [الأحزاب].

عاجل جزاء المتقين:

ثم يرغب الله سبحانه عباده في الاستجابة لما أمرهم به، فيقول: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ»، فأمر بالتقوى ثم ذكر جزاء المحسنين؛ لأن التقوى والإحسان متلازمان، كما قال بعد ذلك: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»، لأن التقوى والصبر أيضا متلازمان، قال الله تعالى: «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» [المائدة: ٩٣]، وقال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ» [النحل: ١٢٨]، وقال تعالى: «إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» [يوسف: ٩٠]، فبين التقوى والإحسان والصبر تلازم، ولذلك يُجمع بينها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

ومعنى «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ»: أي يعطيهم الله في هذه الدنيا حسنة، وهو الجزاء العاجل الذي يتفضل الله عليهم به في الدنيا مع ما يدخر لهم من ثواب الآخرة، كما قال تعالى: «فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» [آل عمران: ١٤٨]، وقال تعالى: «وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ» [النحل]، و قال تعالى: «وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» [النحل].

واختلفوا في المراد بحسنة الدنيا، فقيل هي الصحة، وقيل هي العافية، وقيل هي المال، وقيل هي الأولاد، وقيل هي الزوجة الصالحة، والراجح أن كل ذلك من حسنة الدنيا.

الهجرة من الأرض التي لا يستطيع المؤمن فيها أن يقيم دين الله:

ولما كان المؤمن قد يُضطهد في بلده ومسقط رأسه، فلا يستطيع أن يتقي الله، قال تعالى: «وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ»، فإذا عجزت عن أداء حق الله في أرض فاخرج منها إلى أرض أخرى، فأرض الله واسعة، فمن أخلد إلى الأرض واتبع هواه، ولم يهاجر إلى الله، فقد ظلم نفسه، وعرّضها لعذاب الله، قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» [النساء].

ولما كان الدوام على الطاعة شاقًا، وكانت الهجرة من الأوطان ثقيلة، وكان لا بد للمتقين من الصبر، رغبهم الله تعالى فيه ببيان فضله، وعظيم أجره وثوابه، فقال تعالى: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» قال بعض السلف: أي كالماء المنهمر، لا يُحصى قطره.

البراءة من الكافرين:

«قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

كان المشركون قد حاولوا صدَّ النبي صلى الله عليه وسلم عن دينه بكل الوسائل، فلما فشلوا فيما أرادوا لجئوا إلى ما يُسَمَّى بلغة العصر أنصاف الحلول، فقالوا: يا محمد! تعبد معنا اللاتَ يومًا، ونعبد معك اللهَ يومًا، وبذلك يزول الخلاف بيننا وبينك، فنهاه الله عن طاعتهم، فقال: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم]، وأمره بعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، فقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر]، ثم أمره أن يصرح بهذا الأمر فقال: «قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ» أي من هذه الأمة.

ثم أمره أن يصرح بما يخافه من عذاب الله إن خالف أمره، فقال: «قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ»، وفي هذا تلويح بالعذاب الذي ينتظرهم على عصيان أمر ربهم، فمن عصى اللهَ أخذه، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الحاقة]، «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [النور].

«قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ»، هذا الأمر كقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون].

وقوله تعالى: «فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ» أمر تهديد، يعني: فسيجزيكم الله به، كما قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت]، يعني: وسيجزيكم به. وقد بيَّن الله تعالى هذا الجزاء فقال: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف].

ثم بيَّنَ اللهُ تعالى عاقبة الذين اتخذوا من دونه أولياء، فقال تعالى: «قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ»:

ومعنى خُسرانهم أنفسَهم: أنهم تسبَّبوا لأنفسهم في العذاب، في حين حسبوا أنهم سعوا لها في النعيم والنجاح، وهو تمثيل لحالهم في إيقاع أنفسهم في العذاب وهم يحسبون أنهم يلقونها في النعيم، بحال التاجر الذي عرض ماله للنماء والربح فأصيب بالتلف.

وأما خسرانهم أهليهم فهو مثل خسرانهم أنفسهم، وذلك أنهم أغْرَوْا أهليهم من أزواجهم وأولادهم بالكفر كما أوقعوا أنفسهم فيه، فلم ينتفعوا بأهليهم في الآخرة ولم ينفعوهم، فكان خسرانهم خسرانًا عظيمًا.

[التحرير والتنوير(٢٣/ ٣٦٠و٣٦١).]

ثم وصف الله تعالى ما لهم في النار من العذاب فقال: «لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ» كما قال تعالى: «لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ» [الأعراف]، وكما قال تعالى: «يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» [العنكبوت].

الخوف من الله هو سبب الأمن:

ثم ذكر سبحانه وتعالى العلة من ذكر هذا العذاب فقال: «ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ

عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ» أي: ذلك المذكور من عذاب النار إنما ذكره الله تعالى تخويفًا لعباده، ليتقوه حق تقاته، فالخوف سوط يسوق الله به عباده إلى طاعته، فمن خاف الله أطاعه، ومن لم يخفه عصاه، وقد صرح ربنا سبحانه في أكثر من آية أن الخوف منه كان الدافع لعباده إلى أعمال البر كلها، فقال تعالى: «وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا» [الفرقان]، وقال تعالى: «إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا» [الإنسان]، وقال تعالى: «وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ» [الطور].

بشارة الموحدين:

ولما ذكر سبحانه جزاء المشركين الذين اتخذوا من دونه أولياء ذكر جزاء الموحدين الذين أخلصوا الدين لله رب العالمين، فقال تعالى: «وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ»: الطاغوت كل من عُبد من دون الله برضاه، وأصل الطواغيت الشيطان، كما قال تعالى: «ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا» [النساء]، فالشيطان هو المعبود من دون الله، كما قال تعالى: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ» [يس].

فإن قيل: إن الناس لم يعبدوا الشيطان، وإنما عبدوا الأصنام والأوثان؟

فالجواب: إنهم عبدوا الأوثان بتزيين الشيطان، «الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ» [محمد]، فلما أطاعوه في عبادتها كانوا كأنهم عبدوه، ولذلك قال الله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا» [النساء]، وقال تعالى في بيان دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه: «وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا» [مريم]، ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، وبيَّن أن العلة هي أن الشيطان يضع قرنه حولها، حتى يكون الساجد لها ساجدًا له.

عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ» [مسلم ٨٣٢].

وللحديث بقية،

والحمد لله رب العالمين.

باب الاقتصاد الإسلامي

من أحكام البيع بالتقسيط

مشكلة التأخر في دفع الأقساط

الحلقة الثالثة

إعداد/ د. علي السالوس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

زيادة الدَّيْن

من المعلوم أن ربا الجاهلية ربا الديون الناشئة عن بيع أجل، فكان إذا حل الموعد، وعجز المشتري عن أداء الدَّيْن، تطبق القاعدة الجاهلية المعروفة: «إما أن تقضي وإما أن تُرْبِي»، وهذه القاعدة الجاهلية نراها في عصرنا؛ حيث يطبقها البائعون الذين لا يلتزمون بأحكام الشريعة الإسلامية، وعادة ما يطبقون سعر الفائدة الذي تأخذه البنوك الربوية.

وأمر هؤلاء معلوم، والتحريم واضح جلي، ولكن ماذا يفعل الذين يريدون تحكيم شرع الله عز وجل؟

إن من المشكلات الكبرى التي تؤثر في مسيرة المصارف الإسلامية: عدم التزام كثير من المدينين بدفع أقساط الديون في مواعيدها المتفق عليها، وقليل من هؤلاء ذو عسرة، وأكثرهم يماطلون مع القدرة على الأداء؛ نظرًا لأن المصارف الإسلامية لا تأخذ فوائد التأخير التي يلتزم بها هؤلاء مع البنوك الربوية.

وكثير من المصارف لم تجد علاجًا لهذه المشكلة، ووجدت حلاً جزئيًا في اللجوء إلى المزيد من الضمانات، غير أن بعض المصارف لجأت إلى حلول أخرى نرجو أن يقول المجمع فيها رأيه، ونذكر منها ما يأتي:

هل للمصرف مطالبة المدين المماطل بالتعويض؟

رأى المجيزون أن الغني المماطل أوقع الضرر بالمصرف، فلولا مماطلته لضم هذا المال فعلاً في مدة المماطلة؛ ولذلك أجازوا للمصرف أخذ تعويض بمقدار نسبة الربح التي كان يمكن أن يحققها دين المماطل لو استثمره المصرف، فمتى تبين المصرف الإسلامي أن المدين المماطل مليء غني، أضاف إلى دينه نسبة تعادل النسبة التي حققها خلال مدة بقاء الدين في ذمته.

وقد ناقشت بعض هؤلاء المجيزين، ووجدتهم يستدلون بثلاثة أحاديث شريفة، وبالمصلحة المرسلة التي يرون أنها تتفق مع مقاصد التشريع الإسلامي.

والأحاديث الثلاث هي:

١- «مطل الغني ظلم» [صحيح الجامع ٥٨٧٦].

٢- «لي الواجد يُحِل عِرْضَه وعقوبته» [أبو داود وحسنه الألباني].

٣- «لا ضرر ولا ضرار» [ابن ماجه وصححه الألباني].

والحديث الأول متفق عليه.

قال ابن حجر في الفتح (٤/٤٦٦، الباب الأول من كتاب الحوالة): في الحديث الزجر عن المطل، واختلف هل يعد فعله - عمدًا كبيرة أم لا؟ فالجمهور على أن فاعله يفسق، لكن هل يثبت فسقه بمطله مرة واحدة أم لا؟

قال النووي: مقتضى مذهبنا اشتراط التكرار، ورده السبكي في شرح المنهاج بأن مقتضى مذهبنا عدمه، واستدل بأن منع الحق بعد طلبه، وانتفاء العذر عن أدائه، كالغصب، والغصب كبيرة، وتسميته ظلمًا يشعر بكونه كبيرة، والكبيرة لا يشترط فيها التكرر، نعم لا يحكم عليه بذلك إلا بعد أن يظهر عدم عذره.

والحديث الثاني: «لي الواجد».
ذكره السيوطي وأشار إلى رواته وهم: أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم، ورمز للحديث بالصحة.



وقال المناوي في فيض القدير (٥/ ٤٠٠): عرضه: بأن يقول له المدين: أنت ظالم، أنت مماطل، ونحوه مما ليس بقذف ولا فحش، وعقوبته: بأن يعزره القاضي على الأداء بنحو ضرب أو حبس حتى يؤدي.

ثم قال: «قال الحاكم: صحيح، وأقره الذهبي، ولم يضعفه أبو داود».

والحديث ذكره البخاري تعليقًا، قال في باب: لصاحب الحق مقال من كتاب الاستقراض في صحيحه.

ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لي الواجد يحل عقوبته وعرضه». قال سفيان: عرضه: يقول مطلتني، وعقوبته: الحبس.

وفي تغليق التعليق لابن حجر (٣/ ٣١٨-٣٢٠) ذكر طرقه المختلفة الموصولة، وقال كما في الفتح: إسناده حسن.

والحديث الثالث: «لا ضرر ولا ضرار»، ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (ص٤٦٨) أن الحديث أخرجه مالك والشافعي مرسلاً، وأحمد وعبد الرزاق وابن ماجه والطبراني - وفيه جابر الجعفي، وابن أبي شيبة من وجه آخر أقوى منه، والدارقطني من وجه ثالث.

وقال المناوي في فيض القدير (٦/ ٤٣٢): الحديث حسنه النووي، وقال: له طرق يقوي بعضها بعضًا، وقال العلائي: للحديث شواهد ينتهي مجموعها إلى درجة الصحة أو الحسن المحتج به.

والحديثان الأول والثاني ظاهران في ظلم الغني المماطل، واستحقاقه للعقاب، وهما مما يحتج به، والعقوبة تعزيرية، وذهب الجمهور إلى أن العقوبة هنا هي الحبس، وإن جاز في التعزير غيره كالضرب والتوبيخ، وما دام الهدف من العقوبة العزيرية الردع والزجر وأداء الحقوق، وليس في العقوبة هنا حد مقرر، فالأمر إذن فيه متسع أمام القاضي أو ولي الأمر، فقد يرى في التوبيخ الكفاية، وقد يرى ضرورة الضرب مع الحبس، والأمر لا يستدعي كبير خلاف ما دام الحكم يصدر من عادل غير محكم للهوى والتشهي.

والحديث الثالث ينهى عن الضرر، ومن القواعد الشرعية المعروفة أن الضرر يزال، والمصرف لحقه ضرر فيجب أن يزال.

ومن المعروف أن الدائن ليس له إلا دَيْنه، سواء أخذه وقت استحقاقه أم بعد مدة المطل، وما أجاز أحد من الفقهاء أن يدفع المدين قدرًا زائدًا عن الدين كعقوبة تعزيرية، ولو قيل يدفع مقابل الزمن فهو عين الربا.



قال المجيزون: إن المصلحة تقتضي منع المماطل من استغلال أموال المسلمين ظلمًا وعدوانًا، وإذا كانت الفائدة الربوية تمنع المطل مع البنوك الربوية، فإن الإسلام لا يعجز عن أن يوجد حلاً لمشكلة المطل التي تعاني منها المصارف الإسلامية، وإذا كان الفقهاء السابقون رأوا أن تكون العقوبة الحبس - وهذا غير مطبق الآن - فعلى فقهاء العصر أن يجتهدوا لإيجاد الحل.

ثم أضافوا: والقدر الذي نرى أن يتحمله المماطل هو ما يقابل الربح الفعلي للمصرف، فهذا ليس من باب الربا، ولكنه من باب منع الضرر الذي يلحق بالمصرف.

وربما كان من الصعب التفرقة بين ما ذهب إليه هؤلاء وبين الربا.

ويبقى هنا كذلك أن نسأل: ما الهدف من العقوبة التعزيرية؟ ومن الذي يحدد هذه العقوبة؟ ومن الذي يأمر بإيقاعها؟ أو يقوم بتنفيذها؟ أفيمكن أن يكون شيء من هذا للمصرف؟

لو جاز أن يكون للمصرف استحداث عقوبة تعزيرية يوقعها بالعميل، وهي تشتبه بالربا، إن لم تكن هي الربا بعينه، فمن باب أولى أن يكون له الحق في العقوبة التعزيرية المقررة كالحبس أو الضرب.

ونأتي إلى الجانب التطبيقي لنرى: هل تحقق الهدف من هذه العقوبة؟

بعض المصارف رأت أن المتعاملين معها الذين لا يؤدون الأقساط في مواعيدها بلغوا من الكثرة حدًا يصعب معه النظر في كل حالة، والتفرقة بين مطل الغني وعجز الفقير، كما توجد عوامل أخرى تزيد الأمر صعوبة، ولذلك عند تأخر أي مدين عن الأداء يضاف على دينه ما يقابل الربح الذي يعلنه المصرف في حينه، ولا يستطيع أحد أن يفرق بين هذا وبين الربا المحرم.

وقد يقال إن هذا خطأ في التطبيق لا في الفتوى، ولكن على المفتي أن ينظر إلى ما يمكن تطبيقه.

وبعض المصارف الأخرى تمسكت بنص الفتوى، فكانت ترسل للعميل أولاً حتى تتأكد من المطل قبل إنزال العقوبة، ويلاحظ هنا أن الأرباح التي تحققها المصارف الإسلامية أقل من الفوائد الربوية في أوقات كثيرة، فالذين يستحلون هذه الفوائد استمروا في مطلهم غير عابئين بما يضيفه المصرف الإسلامي وبذلك تحولت العقوبة التعزيرية إلى زيادة ترتبط بربح المصرف والزمن، ورضي بهذا الطرفان!

فهل تحقق الهدف من العقوبة التعزيرية؟ أم تحولت العقوبة إلى نوع جديد من الربا؟

للحديث بقية إن شاء الله تعالى.

من أخبار الجماعة

بسم الله الرحمن الرحيم

في يوم السبت ٢٠ من ذي القعدة ١٤٣٣هـ - الموافق ٦/١٠/٢٠١٢م

اجتمع مجلس شورى العلماء على قناة الرحمة الفضائية لمتابعة قضايا الأمة الإسلامية عامة ومصر خاصة.

ومن خلال ذلك الاجتماع المبارك تعرض المجلس لملف نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وحقه على أتباعه، والدروس المستفادة من الأزمة المتعلقة بمن أساءوا في حق النبي عليه الصلاة والسلام.

كما تعرض المجلس للحديث عن ما يسمى بحرية التعبير التي يدعي الغربيون أن الإساءات تخضع لها، فبين المجلس أن الإسلام نفسه لا يبيح لأفراده الحريات المطلقة، خاصة التي تضر بحريات الآخرين وحقوقهم.

٢- كما تناول أعضاء المجلس أطراف الحديث حول تزكية النفوس، وأنها سبيل لمرضاة الله تعالى، وتحقيق التمكين من لدنه جل وعلا لعباده، وأن على الدعاة البدء بأنفسهم في تزكية نفوسهم ليتسنى لهم تعليم ذلك لمن يدعونهم ويعلمونهم.

٣- كما تطرق أعضاء المجلس إلى مشاكل المسلمين من الفقراء، وكيفية علاجها، والحلول التي كفلها الإسلام لعلاج مشاكل فقراء المسلمين.

٤- وتناول أعضاء المجلس الوضع في سوريا، وأهمية كفالة المهاجرين السوريين في مصر، وتنظيم تلك المسألة.

٥- وقد وجّه المجلس المسئولين في وزارة التربية والتعليم للحرص على تنقية المناهج الدراسية مما يخالف الشرع والأدب، وعرض الكتب على المجلس الأعلى للشئون الإسلامية والأوقاف لضبط هذه المناهج.

٦- وحثَّ المجلس كل عضو باللجنة التأسيسية لكتابة الدستور على أن يتحرى العدل والشرع، وألا يساهم بكلمة خاطئة تكون سُنةً سيئة من بعده، فيحمل وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

٧- وكان من أهم الموضوعات التي تم الحديث عنها: التأكيد على أن المسجد الأقصى يمثل أهمية عقدية كبيرة للمسلمين فلا يتنازلون عنه، وأنهم يفدونه بأرواحهم ودمائهم.

حفظ الله مصر قائداً وشعباً ووفق الله مجلس شورى العلماء وحفظ أعضاءه وسائر العلماء ونفع بهم البلاد والعباد، والحمد لله رب العالمين.

باب الفقه

الأجوبة عن أسئلة الأضحية

إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد فهذه بعض الأسئلة التي يكثر السؤال عنها كل عام عند اقتراب عيد الأضحى، أردت من ذكرها بيان أكثر ما يتعلق بالأضحية من أحكام ليكون المضحي مقبلاً على الطاعة عارفًا كيف يؤديها على الوجه المشروع.

ما المقصود بالأضحية؟

الأضحية لغة: اسم لما يُضحى به، وجَمْعُهَا الأَضَاحِيُّ، وفقهاً: هي ذبح حيوان مخصوص بنية القربة في وقت مخصوص، أو هي ما يُذبح من النَّعم تقرباً إلى الله تعالى في أيام النحر.

ما دليل مشروعية الأضحية؟

الأُضْحِيَّةُ مَشْرُوعَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ والإجماع: أَمَّا الْكِتَابُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ » (الكوثر: ٢) قيل في تفسيره: صَل صَلاةَ الْعيد وَانْحر الْبُدْنَ. وقَوْلُهُ تَعالَى « وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ » [الحج: ٣٦] أي من أعلام دين الله. وَأَمَّا السُّنَّةُ فأَحَادِيثُ تَحْكِي فِعْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا، وَأُخْرَى تَحْكِي قَوْلَهُ فِي بَيَانِ فَضْلِهَا، وَالتَّرْغِيبِ فِيهَا، وَالتَّنْفِيرِ مِنْ تَرْكِهَا. فَمِنْ ذَلِكَ مَا صَحَّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: "ضَحَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّى وَكَبَّرَ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا" [صحيح سنن أبي داود للألباني ٢٤٩١]. وأجمع المسلمون على مشروعية الأضحية. وَقَدْ شُرِعَتِ التَّضْحِيَةُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي شُرِعَتْ فِيهَا صَلاةُ الْعِيدَيْنِ وَزَكَاةُ الْمَالِ.

ما الحكمة من مشروعية الأضحية؟

أَمَّا حِكْمَةُ مَشْرُوعِيَّتِهَا، فَهِيَ شُكْر للَّه تَعَالَى-عَلَى نِعْمَةِ الْحَيَاة، وَإِحْيَاءُ سُنَّة سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيل عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حِينَ أَمَرَهُ اللَّهُ بِذَبْحِ الْفِدَاء عَنْ وَلَدِهِ إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي يَوْمِ النَّحْرِ، وَأَنْ يَتَذَكَّرَ الْمُؤْمِنُ أَنَّ صَبْرَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ وَإِيثَارَهُمَا طَاعَةَ الله وَمَحَبَّتَهُ عَلَى مَحَبَّةِ النَّفْسِ وَالْوَلَد كَانَا سَبَبَ الْفِدَاءِ وَرَفْعَ الْبَلاَءِ، فَإِذَا تَذَكَّرَ الْمُؤْمِنُ ذَلِكَ اقْتَدَى بِهِمَا فِي الصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَتَقْدِيمِ مَحَبَّتِهِ عَزَّ وَجَل عَلَى هَوَى النَّفْسِ وَشَهْوَتِهَا. وَهِي وَسِيلَةٌ لِلتَّوْسِعَةِ عَلَى النَّفْسِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ، وَإِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ، وَالتَّصَدُّقِ عَلَى الْفَقِيرِ، وَهَذِهِ كُلُّهَا مَظَاهِرُ لِلْفَرَحِ وَالسُّرُورِ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى الإِنْسَانِ.

ما حكم الأضحية؟

اختلف الفقهاء في حكم الأضحية، هل هي واجبة أو هي سنة؟

فقال أبو حنيفة وأصحابه واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية: "إنها واجبة مرة في كل عام على المقيمين من أهل الأمصار، وقال الجمهور: إنها سنة مؤكدة غير واجبة، ويكره تركها للقادر عليها. ودليل الحنفية على الوجوب: هو قوله عليه السلام: «من وجد سعة، فلم يضح، فلا يقربن مصلانا» (صحيح الجامع للألباني ٦٤٩٠) قالوا:

ومثل هذا الوعيد لا يلحق بترك غير الواجب، ولأن الأضحية قربة يضاف إليها وقتها، يقال: يوم الأضحى وذلك يؤذن بالوجوب.

واستدل الجمهور على السنية للقادر عليها بأدلة منها حديث أم سلمة: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا رأيتم هلال ذي الحجة: وأراد أحدكم أن يضحي، فليمسك عن شعره وأظفاره» (مختصر صحيح مسلم رقم ١٢٥١) ففيه تعليق الأضحية بالإرادة، والتعليق بالإرادة ينافي الوجوب.

وَمِنْهَا أَيْضًا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَا لاَ يُضَحِّيَانِ السَّنَةَ وَالسَّنَتَيْنِ، مَخَافَةَ أَنْ يُرَى ذَلِكَ وَاجِبًا. وَهَذَا الصَّنِيعُ مِنْهُمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا عَلِمَا مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدَمَ الْوُجُوبِ، وَلَمْ يُرْوَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ خِلاَفُ ذَلِكَ، قال ابن حزم: لا يصح عن أحد من الصحابة أن الأضحية واجبة.

قلت: وما ذهب إليه الجمهور أرجح وأقوى دليلاً، والله أعلم.

ما هي الشروط الواجب توافرها في المضحي؟

١- الإِسْلاَمُ، فَلاَ تَجِبُ عَلَى الْكَافِرِ، وَلاَ تُسَنُّ لَهُ ؛ لأَنَّهَا قُرْبَةٌ، وَالْكَافِرُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْقُرَبِ.

٢- الْغِنَى - وَيُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْيَسَارِ - لِحَدِيثِ "مَنْ كَانَ لَهُ سَعَةٌ وَلَمْ يُضَحِّ فَلاَ يَقْرَبَنَّ مُصَلاَّنَا" وَالسَّعَةُ هِيَ الْغِنَى، فلا تجب على غير القادر باتفاق.

أما الإقامة والبلوغ والعقل فالأصح من أقوال أهل العلم أنها لا يشترط توافرها في المضحي. فتصح الأضحية من المسافر وكذا يصح أن يضحي ولي الصبي والمجنون من مالهما.

ما هي الشروط الواجب توافرها في الحيوان؟

هناك شروط يجب توافرها في الحيوان المضحي به: أَنْ تَكُونَ مِنَ الأَنْعَامِ، وَهِيَ الإِبِلُ وَالْبَقَرَةُ الأَهْلِيَّةُ وَمِنْهَا الْجَوَامِيسُ، وَالْغَنَمُ ضَأْنًا كَانَتْ أَوْ مَعْزًا، وَيُجْزِئُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ الذُّكُورُ وَالإِنَاثُ. وهذا الشرط مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ. فَمَنْ ضَحَّى بِحَيَوَانٍ مَأْكُولٍ غَيْرِ الأَنْعَامِ، سَوَاءٌ أَكَانَ مِنَ الدَّوَابِّ أَمِ الطُّيُورِ، لَمْ تَصِحَّ تَضْحِيَتُهُ بِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ» وَيَتَعَلَّقُ بِهَذَا الشَّرْطِ أَنَّ الشَّاةَ تُجْزِئُ عَنْ وَاحِدٍ، وَالْبَدَنَةَ وَالْبَقَرَةَ كُلٌّ مِنْهُمَا عَنْ سَبْعَةٍ، لِحَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَحَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ الْبَدَنَةَ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ. [صحيح أبي داود ٢٤٩٨ - ٢٥٠٠، وأصله أخرجه مسلم].

٢- أَنْ تَبْلُغَ سِنَّ التَّضْحِيَةِ، بِأَنْ تَكُونَ ثَنِيَّةً أَوْ فَوْقَ الثَّنِيَّةِ مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْمَعْزِ، وَجَذَعَةً أَوْ فَوْقَ الْجَذَعَةِ مِنَ الضَّأْنِ، فَلاَ تُجْزِئُ التَّضْحِيَةُ بِمَا دُونَ الثَّنِيَّةِ مِنْ غَيْرِ الضَّأْنِ، وَلاَ بِمَا دُونَ الْجَذَعَةِ مِنَ الضَّأْنِ ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لاَ تَذْبَحُوا إِلاَّ مُسِنَّةً، إِلاَّ أَنْ يَعْسُرَ عَلَيْكُمْ، فَتَذْبَحُوا جَذَعَةً مِنَ الضَّأْنِ [رواه مسلم]. وَالْمُسِنَّةُ مِنْ كُلِّ الأَنْعَامِ هِيَ الثَّنِيَّةُ فَمَا فَوْقَهَا.

وَهَذَا الشَّرْطُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ إلا ما نقل عن ابن حزم من عدم جواز التضحية بالجذعة من الضأن عند وجود المسنة، وَقد اخْتَلَفُوا فِي تَفْسِيرِ الثَّنِيَّةِ وَالْجَذَعَةِ.

والأصح من هذه الأقوال أن الثَّنِيَّ من المعز: ما أتم سنة و (دخل في الثانية)، ومن البقر والجاموس ما أتم سنتين ودخل في الثالثة، ومن الإبل: ما أتم خمس سنوات، ودخل في السادسة. أما الْجَذَعُ مِنَ الضَّأْنِ فالأصح أنه من أتم ستة أشهر ودخل في السابع.

٣- سلامتها من العيوب الفاحشة، وهي العيوب التي من شأنها أن تنقص الشحم أو اللحم إلا ما استثني. وبناءً على هذا الشرط لا تجزئ التضحية بما يأتي:

العوراء البيّن عورها، وهي التي ذهب بصر إحدى عينيها، وفسّرها الحنابلة بأنها التي انخسفت عينها وذهبت.

- العرجاء البيّن عرجها، وهي التي لا تقدر أن تمشي برجلها إلى المنسك - أي المذبح -.

- المريضة البيّن مرضها، أي التي يظهر مرضها لمن يراها.

- العجفاء التي لا تنقي، وهي المهزولة التي ذهب نقيها، وهو المخ الذي في داخل العظام.

- مقطوعة الأذنين أو إحداهما.

والأصل الذي دلّ على اشتراط السلامة من هذه العيوب كلها ما صحّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تجزئ من الضحايا أربعٌ: العوراء البيّن عورها، والعرجاء البيّن عرجها، والمريضة البيّن مرضها، والعجفاء التي لا تنقي» [قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر

حديث رقم: ٨٨٦ في صحيح الجامع]. وما صحّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «استشرفوا العين والأذن» أي تأمّلوا سلامتها عن الآفات». [صحيح الجامع: ٦٠١٦]. وألحق الفقهاء بما في هذه الأحاديث كلّ ما فيه عيبٌ فاحش.

٤- أَنْ تَكُونَ مَمْلُوكَةً لِلذَّابِحِ، أَوْ مَأْذُونًا لَهُ فِيهَا صَرَاحَةً أَوْ دَلالَةً، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ لَمْ تُجْزِئ التَّضْحِيَةُ بِهَا عَنِ الذَّابِحِ ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ مَالِكًا لَهَا وَلاَ نَائِبًا عَنْ مَالِكِهَا.

ما هي شروطُ صحَّة التَّضحية من المُضحِّي؟

- يشترط صحَّة التَّضْحِيَة من المُضَحِّي ما يلي:

١- نِيَّةُ التَّضْحِيَة فلا تَجزئ الأضحية بدونها؛ لأَنَّ الذَّبْحَ قَد يَكُونُ لِلَّحْمِ، وَقَد يَكُونُ لِلْقُرْبَة، وَالْفِعْل لا يَقَعُ قُرْبَةً إلاَّ بالنِّيَّة، والأصل في ذلك قول رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: إِنَّمَا الأَعْمَال بالنِّيَّات، وَإِنَّمَا لكُل امْرِئ مَا نَوَى.

٢- أَنْ تَكُونَ النِّيَّةُ مُقَارِنَةً لِلذَّبْحِ أَوْ مُقَارِنَةً لِلتَّعْيِينِ السَّابِقِ عَلَى الذَّبْحِ، هَذَا عِنْدَ الشَّافِعيَّة. أَمَّا الْحَنَفِيَّةُ وَالْمَالكيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ فَتَكْفِي عِنْدَهُمُ النِّيَّةُ السَّابِقَةُ عِنْدَ الشِّرَاء أَو التَّعْيِينِ وهو الأصح.

ما هو وقت الأضحية؟

للفقهاء خلافات جزئية في أول وقت التضحية وآخره، وفي كراهية التضحية في ليالي العيد. لكنهم اتفقوا على أن أفضل وقت التضحية هو اليوم الأول قبل زوال الشمس؛ لأنه هو السنة، لحديث البراء بن عازب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «إن أول ما نبدأ به يومنا هذا: أن نصلي، ثم نرجع، فننحر، فمن فعل ذلك، فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل ذلك، فإنما هو لحم قدمه لأهله، ليس من النُسُك في شيء» [صحيح الجامع: ٢٠١٩].

والجمهور على أن الذبح قبل الصلاة، أو في ليلة العيد لا يجوز عملاً بالحديث السابق. وقد ذهب فريق من الفقهاء إلى عدم صحة ذبح الأضحية قبل الصلاة وأنها لا تجزئ عن صاحبها وإنما تكون لحما كسائر الذبائح، واحتجوا لذلك بحديث جندب بن سفيان البجلي " أنه صلى الله عليه وآله وسلم يوم أضحى قال: فانصرف فإذا هو باللحم وذبائح الأضحى تعرف فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه ذبحت قبل أن يصلي، فقال: من كان ذبح قبل أن يصلي فليذبح مكانها أخرى ومن لم يكن ذبح حتى صلينا فليذبح باسم الله" متفق عليه.

وأما آخر وقت الذبح: فقال بعض أهل العلم: إن يوم الذبح هو يوم العيد فقط. وقال بعضهم: يوم العيد ويومين بعده: وتخصيصه بيومين ليس له أصل من السنة، لكنه ورد عن الصحابة . رضي الله عنهم . تخصيصه بيومين بعد العيد.

وأصح الأقوال في ذلك أن أيام الذبح أربعة يوم النحر وثلاثة أيام بعده، ودليل ذلك: أنه قد روي عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «كل أيام التشريق ذبح» [صحيح الجامع: ٤٥٣٧]، وهذا نص في المسألة. وكذلك قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله" أخرجه مسلم، فجعل حكمها واحداً أنها أيام أكل لما يذبح فيها، وشرب، وذكر لله. وأنها كلها يشرع فيها التكبير المطلق والمقيد، ولم يفرق أحد من العلماء فيما نعلم بين هذه الأيام الثلاثة في التكبير، فهي مشتركة في جميع الأحكام، وإذا كان كذلك فلا يمكن أن نُخْرِجَ عن هذا الاشتراك وقت الذبح، بل نقول: إن وقت الذبح يستمر من بعد صلاة العيد يوم النحر إلى آخر أيام التشريق. وهذا هو قول الشافعية، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو رواية عن الإمام أحمد.

هل يجوز الادخار والأكل من لحوم الأضاحي بعد العيد؟

يجوز الادخار والأكل من لحوم الأضاحي بعد العيد لحديث عائشة قالت: " دفّ أهل أبيات من أهل البادية حضرة الأضحى زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ادخروا ثلاثا، ثم تصدقوا بما بقي بعد ذلك، قالوا: يا رسول الله إن الناس يتخذون الأسقية من ضحاياهم يحملون فيها الودك، فقال: وما ذاك؟ قالوا: نهيت أن تؤكل الأضاحي بعد ثلاث، فقال: إنما نهيتكم من أجل الدافة فكلوا وادخروا وتصدقوا" متفق عليه. ولحديث جابر " أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن أكل لحوم الضحايا بعد ثلاث، ثم قال بعدُ: كلوا وتزودوا وادخروا" رواه مسلم والنسائي.

هل يجوز بيع لحوم الأضاحي وجلودها؟

لا يجوز بيع لحوم الأضاحي وجلودها، ولا يعطى الجزار من لحمها شيئًا؛ لحديث علي بن أبي طالب عليه السلام قال: " أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أقوم على بدنه وأن أتصدق بلحومها وجلودها وأجلتها وأن لا أعطي الجازر منها شيئًا وقال نحن نعطيه من عندنا" متفق عليه.

فإن أعطى الجازر منها على سبيل الهدية لقرابة أو صداقة أو غير ذلك، فلا بأس بذلك.

كيف يتم توزيع الأضحية؟

يسن للمضحي أن يأكل من أضحيته ويهدي الأقارب ويتصدق منها على الفقراء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلوا وأطعموا وادخروا" وقال بعض العلماء: الأفضل أن يأكل الثلث، ويتصدق بالثلث، ويدخر الثلث. وهذا ثابت عن الصحابة رضي الله عنهم.

وقال البعض: بل يأكل ما شاء، ويتصدق، ويهدي ما شاء، واحتج لذلك بحديث بريدة قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاثة لتسع ذوو الطول على من لا طول له فكلوا ما بدالكم وأطعموا وادخروا " - رواه أحمد ومسلم. قال: فيه دليل على عدم تقدير الأكل بمقدار وأن للرجل أن يأكل من أضحيته ما شاء وإن كثر ما لم يستغرق بقرينة قوله: وأطعموا، والنفس أميل إلى ذلك.

ما هي الأمور التي يستحب للمضحي فعلها؟

يستحب للمضحي فعل أمور:

منها: ربط الأضحية قبل أيام النحر بأيام، لما فيه من الاستعداد وإظهار الرغبة فيها، وأن يقلدها ويجللها كالهدي، ليشعر بعظيمها، لقوله تعالى: «وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ» [الحج: ٣٢]، وأن يسوقها إلى المذابح سوقًا جميلاً لا عنيفًا، وألا يجرها برجلها.

ومنها: المبادرة إلى التضحية، فالتضحية في اليوم الأول أفضل منها فيما يليه، لأنها مسارعة إلى الخير، وهو الثابت من فعله صلى الله عليه وسلم، وهذا متفق عليه بين المذاهب.

ومنها أنه يستحب لمريد التضحية أن يذبح بنفسه، إن قدر عليه، لأنه قربة، فمباشرتها بنفسه أفضل من توليتها غيره فإن لم يكن المضحي يحسن الذبح أناب عنه غيره.

ومنها أنه يستحب أن يتوجه الذابح إلى القبلة، كما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وأن يضجع الذبيحة على جنبها الأيسر.

ومنها: أن يقول المضحي عند الذبح: «بسم الله والله أكبر، والتسمية واجبة عند التذكر والقدرة، والتكبير مستحب وأن يدعو فيقول: اللهم منك ولك، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين».

ومنها: أن يأكل منها ويُطعم ويدخر، وقد سبق الإشارة إلى ذلك.

ما هي الأمور التي يكره للمضحي فعلها؟

يكره للمضحي فعل أمور:

منها: أنه يكره لمريد التضحية إذا دخل عليه عشر ذي الحجة ألا يحلق شعره، ولا يقلم أظفاره، حتى يضحي، وقال بعض الحنابلة: يحرم عليه ذلك، بدليل حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا رأيتم هلال ذي الحجة، وأراد أحدكم أن يضحي، فليمسك من شعره وأظفاره». والدليل على عدم حرمة المذكور قول عائشة: «كنت أفتل قلائد هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يقلدها بيده، ثم يبعث بها، ولا يحرم عليه شيء أحله الله له، حتى ينحر الهدي». والقول بالكراهة هو الأرجح.

ومنها أنه يكره لمن اشترى أضحية أن يحلبها أو يجز صوفها، أو ينتفع بها، ركوبًا أو حملاً، أو ينتفع بلحمها إذا ذبحها قبل وقتها؛ لأنه عينها للقربة، والانتفاع بها يوجب نقصًا فيها.

ومنها: أنه يكره في الأضحية أن تكون معيبة بعيب لا يخل بالإجزاء لأنها قربة لله وقد قال الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ» [البقرة: ٢٦٧].

نسأل الله تعالى أن ييسر لنا الطاعات وأن يتقبلها منا إنه نعم المولى ونعم النصير.

القسم الثاني

درر البحار من ضعيف الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

الحلقة الثالثة

٣٣- «مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ خَمْسِينَ مَرَّةً خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

الحديث لا يصح: أخرجه الترمذي في «السنن» (ح٨٦٦) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وضعفه الترمذي فقال: «حديث ابن عباس حديث غريب سألت محمدًا - يعني: البخاري- عن هذا الحديث. فقال: إنما يُروى هذا عن ابن عباس من قوله».

قلت: وفيه أبو إسحاق - وهو السبيعي - وهو مدلس وعنعن، وقد اختلط، وفيه أيضًا شريك - وهو ابن عبد الله القاضي يخطئ كثيرًا وتغير حفظه، وفيه يحيى بن يمان يخطئ كثيرًا وتغير أيضًا، وكذلك فيه سفيان بن وقيع ساقط الحديث.

٣٤- «مَنْ قَرَأَ يس في يَوْم وَلَيْلَةٍ ابتغاء وَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ح٦٧٤) من حديث أبي هريرة مرفوعًا وفيه أغلب بن تميم، قال البخاري في «التاريخ الكبير» (١/٢/٧٠): منكر الحديث، وفيه الحسن البصري عن أبي هريرة، والحسن لم يسمع من أبي هريرة ولم يره. كذا في «المراسيل» لابن أبي حاتم (٥٤/و١٠٢- ١١١).

٣٥- «مَا وَسِعَنِي أَرْضِي وَلاَ سَمَائِي، وَوَسِعَنِي قَلْب عَبْدِي الْمُؤْمِن، النَّقِيِّ التقي الْوَادِع اللَّيْنَ».

لا أصل له: هذا الخبر أورده الغزالي في «الإحياء» (٣/١٤): وقال الإمام العراقي في «المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» (٣/١٤- إحياء): «لم أر له أصلاً»، وأورده شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٨/١٢٢، ٣٧٦) ثم قال: «هذا ما ذكروه في «الإسرائيليات» ليس له إسناد معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأقر هذا الإمام السخاوي في «المقاصد» (ح٩٩٠).

٣٦- «الْخَلْقُ كُلُّهمْ عِيَالُ اللَّهِ، فَأَحَبُّهمْ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِه».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو يعلى ح(٣٣١٥) من حديث أنس مرفوعًا، وفيه يوسف بن عطية أبو سهل، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ح١٠٠٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعًا وفيه موسى بن عمير كذَّبه أبو حاتم، وقال: ذاهب الحديث، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/١٠٢) وقال: «غريب من حديث الحكم لم يروه عنه إلا موسى بن عمير».

٣٧- «خُذُوا شَطرَ دِينكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُمَيْرَاء».

لا أصل له: أورده السخاوي في «المقاصد» (ح٤٣٢) وقال: «قال شيخنا - يعني ابن حجر -

في تخريج أحاديث ابن الحاجب من إملائه: لا أعرف له إسنادًا، ولا رأيته في شيء من كتب الحديث إلا في النهاية لابن الأثير ولم يذكر من خرَّجه، وذكر الحافظ عماد الدين ابن كثير أنه سأل الحافظين المزي والذهبي عنه فلم يعرفاه». اهـ.

٣٨- «مَنْ مَاتَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، لَمْ يَعْرِضْهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَمْ يُحَاسِبْهُ».

الحديث لا يصح: أخرجه العقيلي في «الكبير» (٣/٤١٠/١٤٤٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/٢١٥- ٢١٦)، والخطيب في «التاريخ» (٢/١٧٠)، (٥/٣٦٩)، وابن عدي في «الكامل» (٥/٣٥٤) من حديث عائشة مرفوعًا وفيه عائذ بن نُسير قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/٣٦٣/٤١٠١): «ضعفه يحيى بن معين وسرد له ابن عدي مناكير منها هذا الحديث».

٣٩- «يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه (٤٣١٣) من حديث عثمان بن عفان مرفوعًا، وفيه عنبسة بن عبد الرحمن. قال الإمام البخاري في «الضعفاء والصغير» (٢٨٧): تركوه وكذلك فيه علاّق بن أبي مسلم.

قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢/٩٤): مجهول، فالحديث واه.

٤٠ - «مَنْ قَامَ لَيْلَتَي الْعِيدَيْنِ، مُحْتَسِبًا لِلَّهِ، لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه (ح١٧٨٢) من حديث أبي أمامة مرفوعًا، وفيه بقية بن الوليد؛ كثير التدليس عن الضعفاء والمجهولين، لذلك قال الإمام ابن القيم في «زاد المعاد» (١/٢٢٥): «ثم نام حتى أصبح ولم يُحي تلك الليلة، ولا صح عنه في إحياء ليلتي العيدين شيء». اهـ.

٤١ - «الْقَلْبُ بَيْتُ الرَّبِّ».

لا أصل له: أورده الإمام السخاوي في «المقاصد» (ح٧٧٦) وقال: «ليس له أصل في المرفوع».

٤٢ - «إِنَّ الْإِسْلَامَ نَظِيفٌ فَتَنَظَّفُوا، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَظِيفٌ».

الحديث لا يصح، أخرجه الخطيب في «التاريخ» (٥/١٤٣) عن عائشة مرفوعًا، وفيه نعيم بن مُوَدَّع عن توبة العنبري قال فيه ابن حبان في «المجروحين» (٣/٥٧): «شيخ يروي عن الثقات العجائب، لا يجوز الاحتجاج به بحال». وأخرج له هذا الحديث من عجائبه، وقال ابن عدي في «الكامل» (٧/١٥) (٤/١٩٥٧): «ضعيف يسرق الحديث».

٤٣- «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ بَابًا، وَإِنَّ بَابَ الْعِبَادَةِ الْقِيَامُ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» من حديث ضمرة بن حبيب التابعي مرفوعًا فهو مرسل، ومع هذا السقط فيه أبو بكر بن أبي مريم ضعيف مختلط كذا في «التقريب» (٢/٣٩٨).

إلا رسول الله

عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ أَعْمَى كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ، وَكَانَ لَهُ مِنْهَا ابْنَانِ، وَكَانَتْ تُكْثِرُ الْوَقِيعَةَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَسُبُّهُ؛ فَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، وَيَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ ذَكَرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَقَعَتْ فِيهِ، فَلَمْ أَصْبِرْ أَنْ قُمْتُ إِلَى الْمِغْوَلِ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا فَاتَّكَأْتُ عَلَيْهِ فَقَتَلْتُهَا، فَأَصْبَحَتْ قَتِيلًا، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَمَعَ النَّاسَ وَقَالَ: أَنْشُدُ اللَّهَ رَجُلًا لِي عَلَيْهِ حَقٌّ فَعَلَ مَا فَعَلَ إِلَّا قَامَ، فَأَقْبَلَ الْأَعْمَى يَتَدَلْدَلُ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَا صَاحِبُهَا، كَانَتْ أُمَّ وَلَدِي، وَكَانَتْ بِي لَطِيفَةً رَفِيقَةً، وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تُكْثِرُ الْوَقِيعَةَ فِيكَ وَتَشْتُمُكَ، فَأَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، وَأَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، فَلَمَّا كَانَتْ الْبَارِحَةَ ذَكَرْتُكَ فَوَقَعَتْ فِيكَ، فَقُمْتُ إِلَى الْمِغْوَلِ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا فَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ".

[رواه النسائي: ح٤٠٧٠].

حكم مَن سبَّ النبي صلى اللّه عليه وسلم

إعداد/ متولي البراجيلي

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه أبو داود: باب الحكم فيمن سبَّ النبي صلى الله عليه وسلم (ح٤٣٦١)، والنسائي: الحكم فيمن سبَّ النبي صلى الله عليه وسلم (ح٤٠٧٠)، وفي «الكبرى» (ح٣٥١٩)، والحاكم في المستدرك (ح٨٠٤٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ح١١٩٨٤)، والدارقطني (أحاديث: ٣١٩٤، ٣١٩٥، ٤٥٠٣، ٤٥٠٥)، والبيهقي في «الصغرى» (ح٣١٦٦)، وفي الكبرى (أحاديث ١٣٣٧٥، ١٦٨٦٣، ٢٠٤٣٤)، وغيرهم.

كلهم أخرجوه من طريق عثمان الشحَّام عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

درجة الحديث:

قال الحافظ: رواه أبو داود ورواته ثقات (بلوغ المرام ١٣٨/٢)، وقال الحاكم في «المستدرك»: صحيح الإسناد على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وقال الألباني بصحة إسناده في إرواء الغليل، وفي سنن أبي داود والنسائي.

رواة الحديث:

وفي الحديث من الرواة: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وقد أشرت إلى بعض ترجمته في العدد السابق.

عكرمة: البربري أبو عبد الله المدني مولى ابن عباس، أصله من البربر، روى عن جمع

من الصحابة ومنهم ابن عباس، ثقة ثبت عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا تثبت عنه بدعة، مات سنة أربع ومائة وقيل بعد ذلك.
كان يفتي في زمن ابن عباس رضي الله عنهما، فقد قال له: انطلق فأفتهم، فمن جاءك يسألك عما يعنيه فأفته، ومن سألك عمّا لا يعنيه، فلا تفته، فإنك تطرح عنك ثلثي مؤنة الناس.
كان كثير الأسفار، سكن المدينة، ومكة، وقدم إلى مصر، وإفريقية وغيرهم.
قال يحيى بن معين: مات ابن عباس وعكرمة عبدٌ لم يُعتق، فباعه علي بن عبد الله. فقيل له: تبيع علم أبيك؟ فاستردَّه.
وقد شهد أبو أمامة بن سهل أن ابن عباس قال: ما حدثكم عني عكرمة فصدقوه فإنه لم يكذب عليَّ.
روى عنه زهاء ثلاث مائة رجل من البلدان منهم زيادة على سبعين رجلاً من خيار التابعين، وأخرج أحاديثه: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي. (انظر سير الأعلام ٥/١٢- ٣٦، تهذيب التهذيب ٧/٢٦٣- ٢٧٢، تقريب التهذيب ١/٣٩٧).
- عثمان الشحَّام: العدوي أبو سلمة البصري، روى عن عكرمة مولى ابن عباس وغيره، اختلف أهل العلم فيه، فمنهم من قال: ثقة، ومنهم من قال: ليس به بأس، وقال الحافظ في «التقريب»: لا بأس به، روى له مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي. (انظر تهذيب التهذيب ٧/١٦٠- ١٦١، تقريب التهذيب ١/٣٨٧).

شرح الحديث:

قول ابن عباس رضي الله عنهما «أن أعمى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم»: لم أقف على اسم الصحابي، وهذا لا يضر، فالقاعدة أن الصحابة كلهم عدول، كما أن الإبهام في المتن لا يؤثر في صحة الحديث.
- «كانت له أم ولد»: وأم الولد هي الأمة (الجارية) التي ولدت من سيدها في مِلْكه، وهي غير مسلمة، ولذلك كانت تجترئ على ذلك الأمر الشنيع من سباب النبي صلى الله عليه وسلم.
- «تُكثر الوقيعة برسول الله صلى الله عليه وسلم»: أي تعيبه وتذمه.
- «فيزجرها فلا تنزجر»: يمنعها فلا تمتنع.
- «المغول» (وفي رواية المعول): مثل سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه، وقيل حديدة دقيقة لها حدٌّ ماض.
- «فأصبحتْ قتيلاً»: تقال للذكر والأنثى، فيقال رجل قتيل، وامرأة قتيل.
وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنشد الله رجلاً» أي: أسألهُ بالله وأقسم عليه.
«لي عليه حق»: أي مسلماً يجب عليه طاعتي وإجابة دعوتيَ.
«يَتَدَلْدَلُ»: يضطرب في مشيه، وفي رواية: يتزلزل: أي يتحرك.
«مثل اللؤلؤتين»: في الحسن والبهاء وصفاء اللون.
وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «أن دمها هدر»، فلعله علم بالوحي صدق قول الرجل، فأهدر دمها فلا قصاص ولا دية.
[مع العلم أنه إذا قتل السيد الحر أم الولد، فلا قصاص عليه لعدم المكافأة، وعليه قيمتها بالغة ما بلغت وإن زادت على دية الحرة، عند الجمهور. [انظر الموسوعة الفقهية: ٤/١٦٨].

حكم من سبَّ النبي صلى الله عليه وسلم

السبّ هو الكلام الذي يُقصد به الانتقاد والاستخفاف، وهو ما يفهم من السبّ في عقول الناس، على اختلاف اعتقاداتهم، كاللعن والتقبيح.

أولاً: إن كان السابّ مسلماً:

من سبَّ النبي صلى الله عليه وسلم فهو مرتد بلا خلاف، ثم اختلفوا هل يستتاب أم لا؟
فقال الحنفية والحنابلة وابن تيمية: إن سابّ النبي صلى الله عليه وسلم يُعتبر مرتدًا كأي مرتد، لأنه بدّل دينه فيُستتاب، وتُقبل توبته، ولكن يُقتل حدًّا، أي يغسّل ويكفن ويصلّى عليه ويدفن في مقابر المسلمين ويدعى له بالتوبة.
أما الشافعية فيرون أن سبّ النبي صلى الله عليه وسلم ردّة وزيادة، وحجتهم أن السابّ كفر أولاً، فهو مرتد، وأنه سبّ النبي صلى الله عليه وسلم فاجتمعت على قتله علتان، كل منهما توجب قتله.
وصرّح المالكية بأن سابّ النبي صلى الله عليه وسلم لا يُستتاب إلاّ أن يكون كافرًا فيسلم. [انظر الموسوعة الفقهية: ٢٢/١٨٥].

ثانياً: إن كان السابّ ذمياً:

قال المنذري: إن سابّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل، وقد قيل: إنه لا خلاف في أن سابّه من المسلمين يجب قتله، وإنما الخلاف إن كان ذميًا، فقال الشافعي: يُقتل وتبرأ منه الذمة، وقال أبو حنيفة: لا يُقتل، ما هم عليه من الشرك أعظم، وقال مالك: من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى

قُتل إلا أن يُسلم. [عون المعبود ١٢/ ١١].
وقال الخطابي: لا أعلم خلافًا في وجوب قتله إذا كان مسلمًا.
وقال ابن بطال: اختلف العلماء في من سبّ النبي صلى الله عليه وسلم، فأما أهل العهد والذمة كاليهود، فعند مالك يُقتل من سبّ النبي صلى الله عليه وسلم منهم إلا أن يسلم، وأما المسلم فيقتل بغير استتابة.
ونقل ابن المنذر عن الليث والشافعي وأحمد وإسحاق مثله في حق اليهودي ونحوه. [السابق ١٢/ ١٢].
وذكر القرطبي في التفسير: المسألة الخامسة: أكثر العلماء على أن من سبّ النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الذمة أو عرّض أو استخف بقدره أو وضعه، فإنه يُقتل، فإنا لم نعطه الذمة أو العهد على هذا، إلا أن أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة قالوا: لا يُقتل، ما هو عليه من الشرك أعظم، ولكن يؤدب ويعزّر.
والحجة عليه (أي على كلام أبي حنيفة) قوله تعالى: « وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ » [سورة التوبة: ١٢]. واستدل عليه بعضهم (بالقتل) بأمره صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف، وكان معاهدًا.
وتغيّظ أبو بكر على رجل من أصحابه فقال أبو برزة: ألا أضرب عنقه! فقال: ما كانت لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[قلت: الحديث في سنن النسائي أن رجلًا أغلظ لأبي بكر الصديق، فقلت (القائل أبو برزة الأسلمي): أقتله؟ فانتهرني وقال: ليس هذا لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. [صحيح سنن النسائي: ٤٠٧١].
ثم ذكر حديث ابن عباس رضي الله عنه: «قتل أم الولد السابّة للنبي صلى الله عليه وسلم».
ثم قال: السادسة: واختلفوا إذا سبّه ثم أسلم تقيَّة من القتل، فقيل: يُسقط إسلامُه قتلَه، وهو المشهور في المذهب (المالكي)؛ لأن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، بخلاف المسلم إذا سبَّه ثم تاب، قال الله عز وجل: « قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ » [الأنفال: ٣٨]. (تفسير القرطبي: ٨/ ٨٣- ٨٤).
ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية الإجماع على أن سابّ النبي صلى الله عليه وسلم يُقتل، قال: قال ابن المنذر: أجمع عوام (أي جماعتهم) أهل العلم على أن حدَّ من سب النبي صلى الله عليه وسلم القتل، وممن قاله مالك والليث وأحمد وإسحاق وهو مذهب الشافعي.
ثم نقل الإجماع عن أبي بكر الفارسي أيضًا.
وقال: وهذا الإجماع الذي حكاه محمول على إجماع الصدر الأول من الصحابة والتابعين، أو أنه أراد به إجماعهم على أن سابّ النبي صلى الله عليه وسلم يجب قتله إذا كان مسلمًا، ونقل الإجماع عن إسحاق بن راهويه، والخطابي، ومحمد بن سحنون.
ثم قال ابن تيمية: وتحرير القول فيه: أن السابّ إن كان مسلمًا فإنه يكفر ويُقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم، وإن كان ذميًا فإنه يُقتل أيضًا في مذهب مالك وأهل المدينة وهو مذهب أحمد وفقهاء الحديث، فقال الإمام أحمد: كل من شتم النبي، أو تنقّصه مسلمًا كان أو كافرًا فعليه القتل وأرى أن يقتل ولا يُستتاب.
ونقل عن ابن عمر قوله: «من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قُتل».
ثم رجح شيخ الإسلام قتل الذمي السابّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم. [انظر الصارم المسلول ٣/١- ٢٥٣].

وقد سُئل الشيخ ابن عثيمين عن توبة من سبّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؟

فقال: اختلف في ذلك على قولين: القول الأول: أنها لا تُقبل توبة من سبّ الله أو سبّ رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو المشهور عند الحنابلة، بل يُقتل كافرًا.
القول الثاني: أنها تقبل توبة من سبّ الله أو سبّ رسوله، إذا علمنا صدق توبته إلى الله.
ورجَّح الشيخ القول الثاني، وقال: تقبل توبته ويجب قتله (أي حدًّا). [فتاوى ابن عثيمين بتصرف ٢/ ١٥٠-١٥١].
وفصَّل الشيخ ابن باز: بين من تاب ولم يصل أمره إلى ولي الأمر، فهذا عسى الله أن يتوب عليه، وأما من رُفع أمره إلى ولي الأمر فإنه يُقام عليه الحد. [فتاوى نور على الدرب لابن باز بتصرف ٤/ ١٤٤- ١٤٥].

اختصاص ولي الأمر بإقامة الحدود؟

إن الأصل في إقامة الحدود وتنفيذ الأحكام لولي الأمر أو من ينيبه، وذلك بعد الرجوع للعلماء في تنزيل الحكم على الواقع، والتأكد من تحقق

الشروط وانتفاء الموانع؛ لأنه لو تُرك الناس يقيمون الحدود وينفذون الأحكام لأدَّى ذلك إلى فوضى وفساد كبير، وسيعتدي الناس بعضهم على بعض، ويتذرعون بأن المجني عليه ارتكب حدًا من الحدود، وحتى لو أثبت المقيم للحد أن من أقام عليه الحد قد ارتكب ما يوجب الحد عليه، فلولي الأمر أن يعزِّره لأنه افتئات عليه (تعدٍّ) فيما هو من اختصاصه، ولو كان ولي الأمر لا يحكم بشرع الله فلا يجوز لعامة الناس إقامة الحدود؛ لأن هذا سيترتب عليه مفاسد عظيمة.

قال القرطبي: لا خلاف أن القصاص في القتل لا يقيمه إلا أولو الأمر الذين فرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود وغير ذلك؛ لأن الله سبحانه خاطب جميع المؤمنين بالقصاص، ثم لا يتهيأ للمؤمنين جميعًا أن يجتمعوا على القصاص، فأقاموا السلطان مقام أنفسهم في إقامة القصاص وغيره من الحدود. [تفسير القرطبي ٢/٢٤٥- ٢٤٦].

مسألة: فإن قيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم أقرَّ لآحاد الناس تنفيذ الحدود بأيديهم، كما بالحديث. نقول: إن الحد يحتاج إلى إقامة الحجة، وهذا من مواطن الاجتهاد ويقوم به العلماء الربانيون بتكليف من ولي الأمر، فلو أنه تُرك للناس أن يقتص بعضهم من بعض لأدى ذلك إلى مظالم وفساد كبير، وقد نهى الله تعالى عنهما.

ثم أنَّى لنا الوقوف على صدق دعوى المقيم للحد؟

أما كون النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث لم يعاقب الرجل الأعمى: لأنه علم يقينًا بالوحي أن الرجل صادق فيما قال، وهذه لا تتاتى لأحد سواه، فقد يكذب الصادق، ويصدق الكاذب.

فأرى والله أعلم أن الحديث خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم فقط، وفي هذه الواقعة على الأخص، ثم ما جرى عليه العمل بعد ذلك أنه لا إقامة لأي حد من الحدود إلا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، واتفق العلماء من بعده أن إقامة الحدود منوط بولي الأمر فقط، والله أعلم.

فوائد من الحديث:

١- محبة النبي صلى الله عليه وسلم لا تدانيها محبة أحد في قلب المؤمن الصادق، فقد ضحَّى الأعمى بسعادة أسرته وفقد الأولاد لأمهم، من أجل شدة محبته للرسول صلى الله عليه وسلم.

٢- الترقي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالرجل بدأ الإنكار بلسانه وبالزجر الشديد مرة تلو أخرى، قبل أن يغيِّر باليد، كما أن فيه ألا يكتفي بالإنكار مرة واحدة، بل كلما رأى المنكر أنكر على فاعله.

٣- العدل في القول، مع شناعة جرمها لما سبَّت رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أن الرجل ذكر محاسنها من لطفها ورفقها به وبأولاده.

٤- حق النبي صلى الله عليه وسلم على الأمة ووجوب طاعته، لمَّا ناشد الناس أن يقوم القاتل فقام.

٥- فيه المسارعة للفصل في المنازعات ورفع الظلم عن الناس؛ وذلك لقيام النبي صلى الله عليه وسلم بمجرد علمه بالقتل بالتحقيق وتحري الأمر.

٦- شناعة سبِّ النبي صلى الله عليه وسلم، وأنها تستوجب القتل حكمًا.

٧- جواز إتيان ملك اليمين والإنجاب منها.

٨- عظمة الإسلام في تحول الأمَة إلى مرتبة أعلى وهي أم الولد، أولادها أحرار، لا تُباع ولا تُشترى، وتحرر بعد وفاة سيدها (على تفصيلات في ذلك).

٩- وقوع الأذى بالنبي صلى الله عليه وسلم وابتلاؤه مستمر من أيام بعثته، ولو شاء الله لمنعه، لكنها السنة التي لا تتبدل، فأشد الناس بلاءً الأنبياء.

١٠- ابتلاء الناس بعضهم ببعض من أجل التمحيص، وتمييز المدعي من الصادق، «وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» [العنكبوت: ٣].

١١- الأعمى إذا ارتكب ما يوجب العقاب، لم يعذر بعماه، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يعذره لأنه أعمى، وإنما أهدر دم المرأة لسبابها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٢- الحدود مردها إلى ولي الأمر، والنبي صلى الله عليه وسلم لمَّا أهدر دم المرأة كان مؤيدًا بالوحي فعلم منه صدق الأعمى، وهذا لا يتأتى لغيره صلى الله عليه وسلم.

فاللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، وأرنا آية فيمن سبَّ نبينا صلى الله عليه وسلم، واهدنا لاتباع سنته صلى الله عليه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



إلاّ تنصروه فقد نصره الله

إعداد/ صلاح نـجيب الدق

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. أما بعد:

فإن الابتلاء سُنة الله في عباده، فأشد الناس ابتلاء هم الأنبياء، وأكثر الأنبياء تعرضاً للأذى هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وإن نُصرة الله لأنبيائه وانتقامه ممن عاداهم حقيقة ثابتة منذ فجر التاريخ، وسوف نعرض بعضاً من النماذج المشرقة لنصرة الله تعالى لنبينا، وانتقامه سبحانه من كل من يؤذيه صلى الله عليه وسلم. وننذكر أيضاً نماذج من دفاع الصحابة عن نبينا صلى الله عليه وسلم. فأقول وبالله تعالى التوفيق:

(١) إن بطش ربك لشديد:

كَانَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ ابنة رَسُول الله صلى الله عليه وسلم في الْجَاهلِيَّة تَحْتَ عُتَيْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ، وَكَانَتْ رُقَيَّةُ تَحْتَ أَخِيه: عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)(المسد: ١) قَالَ أَبُو لَهَب لابْنَيه: عُتَيْبَةَ، وَعُتْبَة: رَأْسِي وَرُءُوسُكُمَا حَرَامٌ إِنْ لَمْ تُطَلِّقَا ابْنَتَيْ مُحَمَّد، وَسَأَلَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم عُتْبَةَ طَلَاقَ رُقَيَّةَ، وَسَأَلَتْهُ رُقَيَّةُ ذَلك، وَقَالَتْ لَهُ أُمُّ كُلْثُوم بِنْتُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ - وَهِيَ حَمَّالَةُ الْحَطَب -: طَلِّقْهَا يَا بُنَيَّ فَإِنَّهَا قَدْ صَبَتْ فطلقها، وَطَلَّقَ عُتَيْبَةُ أُمَّ كُلْثُوم، وَجَاءَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم حِينَ فَارَقَ أُمَّ كُلْثُوم، فَقَالَ: كَفَرْتُ بدينك، وَفَارَقْتُ ابْنَتَك، لا تُحِبُّنِي وَلَا أُحِبُّك، ثُمَّ تَسَلَّطَ عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَشَقَّ قَمِيصَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أَمَا إِنِّي أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْه كَلْبَهُ»، فَخَرَجَ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَزَلُوا فِي مَكَانٍ مِنَ الشَّام، يُقَالُ لَهُ الزَّرْقَاءُ لَيْلًا، فَأَطَافَ بِهِمُ الأَسَدُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَجَعَلَ عُتَيْبَةُ يَقُولُ: يَا وَيْلُ أُمِّي هُوَ وَاللهِ آكِلِي كَمَا دَعَا مُحَمَّدٌ عَلَيَّ، قَتَلَنِي ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ، وَهُوَ بِمَكَّةَ، وَأَنَا بِالشَّامِ. قَالَ عُرْوَةُ بن الزبير: إِنَّ الأَسَدَ لَمَّا طَافَ بِهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ انْصَرَفَ عَنْهُمْ، فَنَامُوا وَجُعِلَ عُتَيْبَةُ فِي وَسْطِهِمْ، فَأَقْبَلَ الأَسَدُ يَتَخَطَّاهُمْ حَتَّى أَخَذَ بِرَأْسِ عُتَيْبَةَ، فَفَدَغَهُ(فشقه)، وَتَزَوَّجَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رُقَيَّةَ فَتُوُفِّيَتْ عِنْدَهُ، وَلَمْ تَلِدْ لَهُ، وَتَزَوَّجَ أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ زَيْنَبَ فَوَلَدَتْ لَهُ أُمَامَةَ. (دلائل النبوة للبيهقي جـ٢ صـ٣٣٨:٣٣٩)

(٢) في أمان الله تعالى:

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْت أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ (تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) (المسد: ١) أَقْبَلَت الْعَوْرَاءُ أُمُّ جَمِيلِ بِنْتُ حَرْب وَلَهَا وَلْوَلَةٌ (دعاء بالهلاك) وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ(حَجَرٌ مِلء الكف) وَهِيَ تَقُولُ: مُذَمَّمًا أَبَيْنَا وَدِينَهُ قَلَيْنَا وَأَمْرَهُ عَصَيْنَا، وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم جَالِسٌ فِي الْمَسْجِد وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَاكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي» وَقَرَأَ قُرْآنًا فَاعْتَصَمَ به كَمَا قَالَ: وَقَرَأَ (وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا) (الإسراء: ٤٥) فَوَقَفَتْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي. فَقَالَ: لَا وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاك. فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي بِنْتُ سَيِّدِهَا. (مستدرك الحاكم جـ٢ صـ٣٦١).

(٣) إن ربك لبا لمرصاد:

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالأَمْس فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا(سقط) جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَأْخُذُهُ

فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّد إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ، وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ (صغيرة) فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضِّحْكُ وَخَافُوا دَعْوَتَهُ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ(بئر) قَلِيبِ بَدْرٍ. (البخاري حديث ٥٢٠/مسلم حديث١٧٩٤).

(٤) الملائكة تدافع عن نبينا صلى الله عليه وسلم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ (أي يصلي أمامكم) فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ قَالَ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ قَالَ فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ (يجري مسرعاً) وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ قَالَ فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:(أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب) (العَلق٩:١٩) (مسلم حديث٢٧٩٧).

(٥) قبضة تراب مباركة:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ فَتَعَاقَدُوا بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى وَنَائِلَةَ وَإِسَافَ لَوْ قَدْ رَأَيْنَا مُحَمَّدًا لَقَدْ قُمْنَا إِلَيْهِ قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَلَمْ نُفَارِقْهُ حَتَّى نَقْتُلَهُ فَأَقْبَلَتِ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا تَبْكِي حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ هَؤُلَاءِ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ تَعَاقَدُوا عَلَيْكَ لَوْ قَدْ رَأَوْكَ لَقَدْ قَامُوا إِلَيْكَ فَقَتَلُوكَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا قَدْ عَرَفَ نَصِيبَهُ مِنْ دَمِكَ فَقَالَ يَا بُنَيَّةُ أَرِينِي وَضُوءًا فَتَوَضَّأَ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمُ الْمَسْجِدَ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا هَا هُوَ ذَا وَخَفَضُوا أَبْصَارَهُمْ وَسَقَطَتْ أَذْقَانُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ وَعَقِرُوا فِي مَجَالِسِهِمْ(أي لم يستطيعوا القيام) فَلَمْ يَرْفَعُوا إِلَيْهِ بَصَرًا وَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَامَ عَلَى رُءُوسِهِمْ فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ فَقَالَ:شَاهَتِ الْوُجُوهُ(قبح الله منظرها) ثُمَّ حَصَبَهُمْ بِهَا فَمَا أَصَابَ رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْحَصَى حَصَاةٌ إِلَّا قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا. (حديث حسن) (مسند أحمد ج٤ ص٤٨٦ حديث:٢٧٦٢).

(٦) تأييد الله تعالى لنبيه:

عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ(اسم مكان) فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ (الجبلين)، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. (البخاري حديث٣٢٣١).

(٧) أهل مكة يواجهون سبع سنوات عجاف:

عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود فَقَالَ: إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ تَقُولَ لِمَا لَا تَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ، إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) إِنَّ قُرَيْشًا لَمَّا غَلَبُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَعْصَوْا عَلَيْهِ قَالَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ أَكَلُوا فِيهَا الْعِظَامَ وَالْمَيْتَةَ مِنَ الْجَهْدِ حَتَّى جَعَلَ أَحَدُهُمْ يَرَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجُوعِ قَالُوا(رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) فَقِيلَ لَهُ: إِنْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَادُوا، فَدَعَا رَبَّهُ فَكَشَفَ عَنْهُمْ فَعَادُوا فَانْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ إِلَى قَوْلِهِ جَلَّ

ذِكْرُهُ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ). (البخاري حديث٤٨٢٢)

(٨) انتقام الله من المستهزئين بنبينا صلى الله عليه وسلم:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) (الحجر: ٩٥) قَالَ: الْمُسْتَهْزِئُونَ: الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ الزُّهْرِيُّ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ أَبُو زَمْعَةَ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَالْحَارِثُ ابْنُ غَيْطَلَةَ السَّهْمِيُّ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَكَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَرَاهُ الْوَلِيدَ أَبَا عَمْرِو بْنَ الْمُغِيرَةِ فَأَوْمَأَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَبْجَلِهِ فَقَالَ مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: كُفِيتَهُ، ثُمَّ أَرَاهُ الأسود ابنَ الْمُطَّلِبِ، فَأَوْمَأَ جِبْرِيلُ إِلَى عَيْنَيْهِ فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: كُفِيتَهُ، ثُمَّ أَرَاهُ الْأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَغُوثَ الزُّهْرِيَّ، فَأَوْمَأَ إِلَى رَأْسِهِ فَقَالَ مَا صَنَعْتَ قَالَ كُفِيتَهُ، ثُمَّ أَرَاهُ الْحَارِثَ بْنَ غَيْطَلَةَ السَّهْمِيَّ، فَأَوْمَأَ إِلَى رَأْسِهِ أَوْ قَالَ إِلَى بَطْنِهِ فَقَالَ مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: كُفِيتَهُ، وَمَرَّ بِهِ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ فَأَوْمَأَ إِلَى أَخْمَصِهِ فَقَالَ مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: كُفِيتَهُ، فَأَمَّا الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ فَمَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ خُزَاعَةَ وَهُوَ يَرِيشُ نَبْلًا لَهُ(يقوم بإعداد سهامه) فَأَصَابَ أَبْجَلَهُ (عرق في باطن الذراع، وقيل: هو عرق غليظ في الرِّجْل فيما بين العَصب والعظم) فَقَطَعَهَا، وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ فَعَمِيَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ عَمِيَ هَكَذَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ نَزَلَ تَحْتَ سَمُرَةٍ (هو نوع من الشجر) فَجَعَلَ يَقُولُ يَا بَنِيَّ أَلَا تَدْفَعُونَ عَنِّي قَدْ قُتِلْتُ؟ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: مَا نَرَى شَيْئًا، وَجَعَلَ يَقُولُ: يَا بَنِيَّ! أَلَا تَمْنَعُونَ عَنِّي، قَدْ هلكت ها هو ذا أُطْعَنُ بِالشَّوْكِ فِي عَيْنَيَّ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: مَا نَرَى شَيْئًا! فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى عَمِيَتْ عَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ الزُّهْرِيُّ فَخَرَجَ فِي رَأْسِهِ قُرُوحٌ فَمَاتَ مِنْهَا، وَأَمَّا الحارث بن حنظلة فَأَخَذَهُ الْمَاءُ الْأَصْفَرُ فِي بَطْنِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ فِيهِ فَمَاتَ مِنْهَا، وَأَمَّا الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ يَوْمًا إِذْ دَخَلَ فِي رَأْسِهِ شِبْرِقَةٌ (نباتٌ له شوك) حَتَّى امْتَلَأَتْ مِنْهَا فَمَاتَ مِنْهَا وَقَالَ غَيْرُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: فَرَكِبَ إِلَى الطَّائِفِ عَلَى حِمَارٍ فَرَبَضَ(سقط) عَلَى شِبْرِقَةٍ فَدَخَلَتْ فِي أَخْمَصِ قَدَمِهِ(تجويف بباطن القدم لا يلمس الأرض عند المشي) شَوْكَةٌ فَقَتَلَتْهُ. (دلائل النبوة للبيهقي جـ٢ صـ٣١٨).

(٩) فأغشيناهم فهم لا يبصرون:

أَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ يَنْتَظِرُ أَمْرَ اللهِ بالهجرة إلى المدينة، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ فَمَكَرَتْ بِهِ وَأَرَادُوا بِهِ مَا أَرَادُوا أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَبِيتَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ يَبِيتُ فِيهِ، دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَبِيتَ عَلَى فِرَاشِهِ، وَيَتَسَجَّى(يتغطى) بِبُرْدٍ(كساء) لَهُ أَخْضَرَ، فَفَعَلَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْقَوْمِ وَهُمْ عَلَى بَابِهِ وَخَرَجَ مَعَهُ بِحَفْنَةٍ مِنْ تُرَابٍ فَجَعَلَ يَذُرُّهَا عَلَى رُءُوسِهِمْ، وَأَخَذَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ نَبِيِّهِ وَهُوَ يَقْرَأُ: (يس ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) (يس: ٢) إِلَى قَوْلِهِ: (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) (يس: ٩) (دلائل النبوة للبيهقي جـ٢ صـ٤٦٩: ٤٧٠)

(١٠) لا تحزن إن الله معنا:

قال تعالى: (إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٤٠)

عن أنس قال: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَارِ فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا، قَالَ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟ (البخاري حديث٤٦٦٣)

(١١) استجابة ربانية عاجلة:

عن الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ تَبِعَهُ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَاخَتْ بِهِ فَرَسُهُ، قَالَ: ادْعُ اللَّهَ لِي وَلَا أَضُرُّكَ، فَدَعَا لَهُ، قَالَ: فَعَطِشَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرَّ بِرَاعٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذْتُ قَدَحًا فَحَلَبْتُ فِيهِ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ فَأَتَيْتُهُ فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ. (البخاري حديث ٣٠٩٨) وكانت قريش قد رصدت مائة من الإبل لمن يقتل النبي صلى الله عليه وسلم أو يأسره، فأراد سراقة بن مالك أن يحصل على المكافأة، ولكن الله تعالى حال بينه وبين ما أراد.

(١٢) الأطفال يدافعون عن نبينا صلى الله عليه وسلم:

عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنْ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا (صغيرا السن) تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ

مِنَّا (أي الأقرب أجلاً) فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ فَغَمَزَنِي الآخَرُ فَقَالَ لِي مِثْلَهَا فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ قُلْتُ: أَلا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلاهُ ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟ قَالا: لا فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ فَقَالَ: كِلاكُمَا قَتَلَهُ. (البخاري حديث ٣١٤١)

(١٣) نبينا صلى الله عليه وسلم هو رسول الله حقا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَاةٌ فِيهَا سَمٌّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ الْيَهُودِ فَجُمِعُوا لَهُ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ أَبُوكُمْ؟ قَالُوا: أَبُونَا فُلانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَذَبْتُمْ بَلْ أَبُوكُمْ فُلانٌ. فَقَالُوا: صَدَقْتَ وَبَرِرْتَ. فَقَالَ: هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا. قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ فَقَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلُفُونَنَا فِيهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: اخْسَئُوا فِيهَا، وَاللَّهِ لا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ فَقَالَ هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سَمًّا فَقَالُوا نَعَمْ فَقَالَ مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالُوا أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَذَّابًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ. (البخاري حديث ٣١٦٩)

(١٤) الله يعصم نبينا صلى الله عليه وسلم من الناس:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ قِبَلَ (ناحية) نَجْدٍ فَأَدْرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ (شجرٌ ذات شوك) فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا قَالَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْوَادِي يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ رَجُلاً أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَأَخَذَ السَّيْفَ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي فَلَمْ أَشْعُرْ إِلا وَالسَّيْفُ صَلْتًا (أي مسلولا) فِي يَدِهِ فَقَالَ لِي مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي قَالَ قُلْتُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي قَالَ قُلْتُ اللَّهُ قَالَ فَشَامَ السَّيْفَ (أي وضع الرجل السيف في جرابه) فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (أي لم يعاقبه). (البخاري حديث ٢٩١٠ / مسلم حديث ٨٤٣).

(١٥) الأرض تغضب دفاعا عن نبينا صلى الله عليه وسلم:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ وَقَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَادَ نَصْرَانِيًّا فَكَانَ يَقُولُ مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلا مَا كَتَبْتُ لَهُ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوهُ فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ فَقَالُوا هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ فَقَالُوا هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ فَأَلْقَوْهُ. (البخاري حديث ٣٦١٧ / مسلم حديث ٢٧٨١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا الملعون، الذي افترى على النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما كان يدري إلا ما كتب له، قصمه الله، وفضحه بأن أخرجه من القبر بعد أن دُفن مراراً، وهذا أمرٌ خارجٌ عن العادة، يدل كل أحد على أن هذا عقوبة لما قاله، وأنه كان كاذباً، إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد، إذ كان عامة المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا وأن الله منتقم لرسوله ممن طعن عليه وسبه ومظهر لدينه ولكذب الكاذب، إذ لم يُمكن الناسَ أن يقيموا عليه الحدَّ. (الصارم المسلول لابن تيمية صـ١١٦: صـ١١٧).

علو منزلة نبينا صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦). وقال جَل شانه: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨)، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم:٤).

(١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ لا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ. (مسلم حديث ١٩٧).

(٢) عن عَبْد اللَّه بْنُ عَمْرو بن العاص قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا. (البخاري حديث ٦٥٧٩).

(٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي)الْآيَةَ وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام(إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي وَبَكَى فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ وَهُوَ أَعْلَمُ فَقَالَ اللَّهُ يَا جِبْرِيلُ: اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ.(لن نَخْزيك) (مسلم حديث ٢٠٣).

(٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (مسلم حديث ١٩٦).

(٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا. (مسلم حديث ٤٠٨)

كيف ننصر نبينا صلى الله عليه وسلم؟

أخي المسلم الكريم:

إن لنصرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وسائل كثيرة يمكن أن نوجزها فيما يلي:

(١) اتباع سُنة نبينا صلى الله عليه وسلم في جميع الأقوال والأفعال، قدر المستطاع.

(٢) تقديم محبة وطاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على كل شيء.

(٣) الإكثار من الصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

(٤) الرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام ضد نبينا صلى الله عليه وسلم.

(٥) الدفاع عن أزواج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآل بيته وجميع أصحابه.

(٦) تربية أطفالنا على محبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

(٧) تحذير الناس من الابتداع في الدين مع بيان خطر البدع.

(٨) ذكر سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومواقفه مع أصحاب الديانات الأخرى وكيف أنهم عاشوا مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في مكان واحد، فلم يجبر أحداً منهم على الدخول في الإسلام، ولم يقتل أحداً منهم بغير حق، ولم يعتدِ على مقدساتهم، وعاشوا معه في أمان على أنفسهم وأموالهم، وترجمة ذلك إلى لغات عديدة ونشرها في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة.

(٩) عمل مسابقات في سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم مع إعداد جوائز قيمة لها.

(١٠) مقاطعة جميع منتجات الدول التي يستهزئ سكانها بنبينا محمد صلى الله عليه وسلمفإنهم يحبون المال حباً جماً، وهذه المقاطعة تكبدهم خسائر فادحة.

(١١) اجتماع رؤساء وملوك الدول العربية والإسلامية للضغط على حكومات هذه الدول، التي ظهر فيها هذا العمل القبيح، من أجل محاكمة هؤلاء المستهزئين، وإصدار قوانين لمنع ذلك في المستقبل.

(١٢) يجب على المسلمين الأخذ بأسباب القوة والتقدم العلمي في جميع مجالات الحياة، العسكرية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، فأعداء الإسلام لا يحترمون إلا الأقوياء.

فائدة مهمة:

يجب على كل مسلم أن ينضبط بأحكام الشريعة الإسلامية عند التعبير عن غضبه، تجاه ما يقوم به بعض الحاقدين على الإسلام في الدول غير الإسلامية، من عمل أفلام ورسومات، تسيء إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو تستهزئ بأحد من الصحابة، أو بأي مظهر أو حكم من أحكام الشريعة الإسلامية المباركة. فلا يجوز الاعتداء، بالقول أو الفعل، على أعضاء البعثات الرسمية لهذه الدول، أو العاملين في بلاد المسلمين، أو في أي مكان في العالم، الذين يستنكرون ما قام به السفهاء في بلادهم من الاستهزاء بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك لأنهم معاهَدون، فيحرم الاعتداء على الممتلكات الخاصة والعامة، وذلك لأن الإسلام دين العدل والسلام والأمان. كما يحرم علينا، نحن المسلمين، أن نعاقب شخصاً على ذنب ارتكبه غيره. قال الله تعالى: (مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا) (الإسراء:١٥)، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

المذهب الوسطي لأبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات

استهجان أبي الحسن الأشعري واستنكاره الشديد لتأويلات المعتزلة والجهمية والشيعة والخوارج ومن تبعهم في ذلك من متأخري الأشاعرة

الحلقة الثالثة

إعداد/ أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

ذكرنا في المرة السابقة أن أبا الحسن الأشعري قد عمد إلى إثبات صفات الله الخبرية من نحو اليد والقبضة والعين.. إلخ، والفعلية من نحو الاستواء والنزول والغضب والرضا.. إلخ، وأنه قصد إلى الوصول إلى ذلك الإثبات عن طريقين:

أحدهما: إثباته هذه الصفات والنص عليها صراحة، وثانيهما: - وهو موضوع هذه الحلقة - عن طريق استنكاره على المعتزلة والجهمية والشيعة والخوارج وغيرهم ممن تأولوا هذه الصفات، فحالوا بتأويلاتهم الباطلة دون إثباتها.. وأقول وبالله التوفيق:

إنه وعلى نحو ما جاء إثبات أبي الحسن الأشعري لصفات الخالق، فيما نطق به بصريح العبارة.. جاء الإنكار منه على نفيها بتأويل أو تعطيل، أيضاً بصريحها.. فقد أنكر على من تأوَّل النزول، وأنكر على من تأوَّل الفوقية، وأنكر على من تأوَّل اليد والعين، وأنكر على من تأوَّل المجيء والإتيان، وأنكر على من تأوَّل الوجه بالذات.. كما شدد النكير في غير ما مرة على من تأوَّل الاستواء بالاستيلاء أو القهر أو القدرة، وجاء كل ذلك منه بأدلة النقل والعقل..

ومن ذلك قول الأشعري: «وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قول الله تعالى: «الرحمن على العرش استوى» (طه/٥)، أنه (استولى) و(ملك) و(قهر) و(أن الله - تعالى - في كل مكان)، وجحدوا أن يكون الله عز وجل مستوٍ على عرشه كما قال أهل الحق.. وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، ولو كان هذا كما ذكروه لما كان هناك فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله تعالى قادر على كل شيء، والأرض لله سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم.. ولو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء وهو تعالى مستوٍ على الأشياء كلها، لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار، لأنه مستولٍ عليها.. وإذ لم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله مستوٍ على الحشوش والأخلية - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش لعظمته دون الأشياء كلها". (الإبانة ص ٩٢)

قال: "وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله تعالى في كل مكان، فلزمهم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخلية، وهذا خلاف الدين، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.. ويقال لهم: إذا لم يكن مستوياً على العرش بمعنى يخص العرش دون غيره - كما قال ذلك أهل العلم وَنَقَلة الأخبار وحَمَلة الآثار - وكان الله عز وجل في كل مكان، فهو تحت الأرض التي السماء فوقها، وإذا كان تحت الأرض والأرض فوقه والسماء فوق الأرض.. فإن في هذا ما يلزمكم أن تقولوا لأجله: إن الله تحت التحت والأشياء فوقه، وأنه فوق الفوق والأشياء تحته، وفي هذا ما يستلزم أنه تحت ما هو فوقه وفوق ما هو تحته، وهذا هو المحال والمتناقض، تعالى

الله عن ذلك علواً كبيراً».(الإبانة ص ٩٢)

دلائل إنكار الأشعري على طريقة متأخري الأشاعرة:

ومن دلائل إنكار أبي الحسن الشديد على طريقة متأخري الأشاعرة - المتبَعة إلى الآن في تفصيل نعوت السلب والمفضية إلى نفي ذاته تعالى وما ثبت بحقه من صفات الفعل والخبر لاسيما صفة استوائه سبحانه على عرشه - ما نسبه في (المقالات) ص ١٥٥، ١٥٦ إلى المعتزلة على سبيل الاستهجان، فقد نَقل عنهم قولهم: «إن الله واحد.. ليس بجسم ولا شبح ولا جثة، ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص، ولا جوهر ولا عرض، ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا محسة، ولا بذي حرارة ولا برودة.. وليس بذي أبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء، وليس بذي جهاتٍ ولا بذي يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت.. ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدَثهم، ولا يوصف بأنه متناه.. وليس بمحدود.. ولا تحيط به الأقدار ولا تحجبه الأستار، ولا تدركه الحواس ولا يقاس بالناس.. لا تراه العيون ولا تدركه الأبصار ولا يُسمع بالأسماع».

ولكون قصدهم من وراء كل هذا النفي المفصل: تعطيل أفعاله تعالى وصفاته الخبرية.. ولكونه يمثل غير طريق المؤمنين، عقَّب الأشعري عليه بقوله: «فهذه جملة قولهم في التوحيد، وقد شاركهم في هذه الجملة: الخوارج وطوائف من المرجئة وطوائف من الشيعة، وإن كانوا للملة التي يظهرونها ناقضين ولها تاركين».

إنكار الأشعري على المتأولة:

وكان مما استنكره الأشعري بشدة على المتأولة، تأويلهم اليد بالنعمة؛ حيث قال ما نصه: «وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب، أن يقول القائل: عملت كذا بيديَّ، ويعني به النعمة، وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوماً في كلامها ومعقولاً في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: (فعلت بيدي) ويعني: النعمة، بطل أن يكون معنى قوله تعالى: «بيدي» (ص/ ٧٥) النعمة، وذلك أنه لا يجوز أن يقول القائل: (لي عليه يدي)، بمعنى: (لي عليه نعمتي).. لأنه إن روجع في تفسير قوله تعالى: «بيدي» بـ «نعمتيَ» إلى الإجماع، فليس المسلمون على ما ادُّعى متفقين، وإن روجع إلى اللغة فليس في اللغة أن يقول القائل: (بيديَّ) يعني (نعمتيَّ)، وإن لجأ إلى وجه ثالث سألناه عنه ولن يجد له سبيلاً». [الإبانة ص٩٩].

وبعد إثباته ما أتى به القرآن في قوله تعالى: «خلقت بيدي».. (ص/ ٧٥) ووجوب حمله - بموجب القرائن - على ظاهره، وبعد أن أحال أن تكون بمعنى (نعمتي)، قال أبو الحسن الأشعري: «فإن قال قائل: إذا ذكر الله عز وجل (الأيدي) - يعني في قوله تعالى: «مما عملت أيدينا» (يس/ ٧١) - وأراد (يدين)، فما أنكرتم أن يذكر (الأيدي) ويريد (يداً) واحدة؟، قيل له: ذكر تعالى (أيدي) وأراد (يدين)، لأنهم أجمعوا على بطلانِ قول من قال: (أيدي كثيرة)، وقول من قال: (يداً واحدة)، فقلنا: (يدان)؛ لأن القرآن على ظاهره، إلا أن تقوم حجة بأن يكون على خلاف الظاهر، فإن قال قائل: ما أنكرتم أن يكون قوله تعالى: «عملت أيدينا» (يس/ ٧١) وقوله تعالى: «لما خلقت بيدي» (ص/ ٧٥) على المجاز؟ قيل له: حَكَم الله تعالى أن يكون على ظاهره وحقيقته، ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا بحجة ا.هـ [الإبانة ص١٤٢].

نقد الأشعري للمعتزلة:

وكان مما عابه الأشعري كذلك على المعتزلة - ومن قال بقولهم - ما نقله عنهم في (المقالات) من الزعم بـ «أن لله وجهاً هو هو» [ومدعي هذا هو: رأس المعتزلة أبو الهذيل العلاف]، مبررين ذلك بـ «أن العرب تقيم الوجه مقام الشيء، فيقول القائل: (لولا وجهك لم أفعل)، أي: (لولا أنت لم أفعل)، وهذا قول النظام وأكثر معتزلة البصريين وقول معتزلة البغداديين»[مقالات الإسلاميين ص ١٨٩ وينظر ٥٢١: ٥٢٤]، وهو عينه قول متأخري الأشاعرة بعد تعطيلهم صفة الوجه وتأويلها بالذات.

ومما نقله عنهم كذلك مع شدة استنكاره له، تأويلاتهم الباطلة بشأن صفتي (العين) و(اليد)

في حقه تعالى، حيث قال بنفس المصدر ص ١٩٥: «وأجمعت المعتزلة بأسرها على إنكار (العين) و(اليد)، وافترقوا في ذلك على مقالتين: فمنهم من أنكر أن يقال: (لله يدان)، وأنكر أن يقال: (إنه ذو عين، وإن له عينين)، ومنهم من زعم أن لله يداً وأن له يدين، وذهب في معنى ذلك إلى أن اليد نعمة، وذهب في معنى العين إلى أنه أراد: العلم وأنه عالم، وتأول قول الله تعالى: «ولتصنع على عيني» (طه/ ١٤)، أي: بعلمي».. وقد سبق ذكر رده على ذلك، وسوقه إجماع أهل السنة وسلف الأمة على خلافه.

استنكار الأشعري على النفاة:

ويواصل أبو الحسن الأشعري استنكاره الشديد على المعتزلة النفاة و- بالطبع - من قال بقولهم، فيُفصح في (المقالات) ص ٢١٨ عن أنها: «تأولت (اليد) بمعنى النعمة، وتأولت قوله تعالى: «تجري بأعيننا» (القمر١٤)، أي: (بعلمنا)، و(الجنب) بمعنى: (الأمر)، وقالوا في قوله تعالى: «أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله» (الزمر: ٥٦)، أي: (في أمر الله)، وقالوا: (نفس الباري هي هو).. وأما (الوجه) فإن المعتزلة قالت فيه قولين: قال بعضهم وهو أبو الهذيل: وجه الله هو الله، وقال غيره: معنى قوله: «ويبقى وجه ربك» (الرحمن/ ٢٧)، ويبقى ربك، من غير أن يثبت وجهاً».

وكان مما قاله بنفس المصدر ص ٩٧: «ونَفى الجهمية أن يكون لله تعالى وجه»، في إشارة منه رحمه الله إلى تشابه من يفعل ذلك أيًا ما كان، بمن ينكر سمع الله وبصره وعلمه وقدرته، وإشارة منه كذلك إلى تشابه من ينكر صفاته تعالى ويعطلها بزعم تنزيهه تعالى عن مشابهة الحوادث، بالمجسمة والمشبهة الذين لم يتصوروا في صفات الله إلا ما يكون منها للمخلوقين، ومن كلامه الصريح في ذلك قوله في المقالات في ٢١٧: «قالت المجسمة: (له يدان ورجلان ووجه وعينان وجنب)، يذهبون إلى الجوارح والأعضاء».. وكان مما ذكره وعقب به مباشرة على مقولة المجسمة السالفة الذكر، قوله - في معتقد أهل السنة والجماعة وما أجمعوا عليه في ذلك -: «قال أصحاب الحديث: لسنا نقول في ذلك إلا ما قاله الله عز وجل، أو جاءت به الرواية من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنقول: (وجه بلا كيف، ويدان وعينان بلا كيف)»أ.هـ.

وقد أوضح الحافظ الذهبي في العلو ص ١٥٩ أن الأشعري في المقالات ص ٢٩٠ "ذكرَ فِرق الخوارج والروافض والجهمية وغيرهم.. إلى أن قال: (ذِكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث: جملة قولهم: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاء عن الله، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئاً، وأن الله على عرشه كما قال: «الرحمن على العرش استوى» (طه/ ٥)، وأن له يدين كما قال: «لما خلقت بيدي» (ص/٧٥)، وأن أسماء الله لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج".. إلى آخر ما قرره الأشعري رحمه الله..

العلو عند الأشعري:

كما أوضح الذهبي بنفس الصفحة والتي تليها، أن أبا الحسن "ذكر في هذا الكتاب المذكور - ص ٢١٠، ٢١٨ نحواً من ذلك - في باب: (هل الباري تعالى في مكان دون مكان، أم لا في مكان، أم في كل مكان)، فقال: (اختلفوا في ذلك على سبع عشرة مقالة، منها: قال أهل السنة أصحاب الحديث: إنه ليس بجسم ولا يشبه الأشياء، وإنه على العرش كما قال: «الرحمن على العرش استوى» (طه/ ٥)، ولا نقدم بين يدي الله بالقول، بل نقول استوى بلا كيف، وإن له يدين كما قال: «خلقت بيدي» (ص/ ٧٥)، وإنه ينزل إلى سماء الدنيا كما جاء في الحديث)، ثم قال: (وقالت المعتزلة: استوى على عرشه، بمعنى: استولى، وتأولوا اليد بمعنى النعمة، وقوله: «تجري بأعيننا» (القمر / ١٤) أي: بعلمنا، والجنب بمعنى: الأمر، وقالوا في قوله: «أن تقول نفس يا حسرتا على فرطت في جنب الله» (الزمر/ ٥٦)، أي في أمر الله، وقالوا: نفس البارئ هي هو وكذلك ذاته هي هو".

كما أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية كل

ذلك في الحموية [ص٥٣: ٥٩]. ونقل عن أبي الحسن الأشعري جُلّ ما يتعلق بتأويلات المعتزلة وغيرهم من أهل الضلال، وما ذكره رحمه الله بشأن ردها ودحضها.

رسالة الأشعري إلى أهل الثغر:

وقد سقنا قبل، ما قاله في رسالته إلى أهل الثغر ص ٢١٤ وما بعدها، وفيه - بتصرف واختصار -: «وأجمعوا على أن صفته عز وجل لا تشبه صفات المحدَثين كما أن نَفْسَه لا تشبه أنفس المخلوقين، واستدلوا على ذلك بأنه لو لم يكن له عز وجل هذه الصفات لم يكن موصوفاً بشيء منها في الحقيقة، وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى، وأن له يدين مبسوطتين، وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه من غير أن يكون جوارح، وأن يديه تعالى غير نعمته، وأجمعوا على أنه عز وجل يجئ يوم القيامة والملك صفاً صفاً لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها، وليس مجيئه حركة ولا زوالاً، وإنما يكون المجيء حركة وزوالاً إذا كان الجائي جسماً أو جوهراً، فإذا ثبت أنه عز وجل ليس جسماً ولا جوهراً لم يجب أن يكون مجيئه نقلة أو حركة، ألا ترى أنهم لا يريدون بقولهم: (جاءت زيد الحمى) أنها تنقلت إليه أو تحركت من مكان كانت فيه إذ لم تكن جسماً ولا جوهراً وإنما مجيئها إليه وجودها به، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم وليس نزوله نقلة؛ لأنه ليس بجسم ولا جوهر، وقد نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم عند من خالفنا، وأجمعوا على أنه تعالى فوق سماواته على عرشه دون أرضه، وقد دل على ذلك بقوله: (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) (الملك / ١٦)، وقال: (الرحمن على العرش استوى) (طه/ ٥) وليس استواؤه على العرش استيلاء كما قال أهل القدر، لأنه عز وجل لم يزل مستولياً على كل شيء».

تزكية العلماء لأبي الحسن الأشعري:

وهذا بالطبع مذهبه الذي دان الله به ولقي ربه عليه.. وقد شهد له به أئمة الهدى، يقول ابن تيمية - رحمه الله - في «الموافقات» ٢/ ٨: "الأشعري يثبت الصفات بالشرع تارة وبالعقل أخرى، ولهذا يثبت العلو ونحوه مما تنفيه المعتزلة، ويثبت الاستواء على العرش، ويرد على من تأوله بالاستيلاء ونحوه"، ويقول بنفس المصدر ٣/ ٢٣٩: "ليس للأشعري في إثبات صفة الوجه واليد والاستواء وتأويل نصوصها قولان، بل لم يختلف قوله أنه يثبتها ولا يقف فيها، بل يبطل تأويلات من ينفيها".. كما شهد للأشعري بذلك ضمن المعاصرين د. محمد أبو زهرة، وكان مما قاله عنه: "أنه يأخذ بظواهر النصوص في الآيات الموهمة للتشبيه من غير أن يقع في التشبيه، فهو يعتقد أن لله وجهاً لا كوجه العبيد، وأن لله يداً لا تشبه أيدي المخلوقات"[ينظر (ابن تيمية حياته وعصره) ص١٨٩].

موقف الأشعري من المجاز:

وما سبق أن ذكرناه للأشعري وشهد له به السابقون واللاحقون، يؤكد - من دون شك - نفيه للمجاز كلية في آي وأحاديث الصفات؛ لكونه القاضي بصرف الصفات الخبرية وصفات الأفعال عن ظاهر معناها بدون دليل ولا قرينة شرعية أو لغوية أو عقلية أو حالية، والمجاز - كما يَعلمُ ذلك من له أدنى إلمام بقواعد البلاغة - الشرط فيه وجود أيٍّ من هذه القرائن المانعة من إرادة المعنى الحقيقي للفظ، وأرى أن هذا أوسط الآراء التي قيلت في إشكالية وجود المجاز في القرآن أو عدمِ وجوده، حيث أفرط البعض فجنح إلى أن جُل ما في القرآن محمول على المجاز، وغالى آخرون فنفى المجاز عن القرآن كلية، والصواب هو وجوده مع منع إجرائه بالكلية في صفات الله تعالى لعدم وجود القرينة كما أسلفت، وعلى ما هو مفصل في كتابنا (موقف السلف من المجاز في الصفات).

وللحديث بقية بمشيئة الله تعالى.

نسأل الله أن يبصِّرنا بعيوبنا وأن يلهمنا رشدنا وأن يهديَنا سبلنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

واحة التوحيد

من فضائل الحج

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "من حج لله، فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه". [أخرجه البخاري]

من سنن وآداب الحج

قال الله تعالى: «ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ» [البقرة: ١٩٧].

من أخطاء الحجيج

اعتقاد بعض الناس أن حجه يكون ناقصًا إذا لم يزر قبر النبي صلى الله عليه وسلم، ويقف عنده، ويدعو، ويستشفع به، والصحيح أن حجه قد تم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم «من شهد صلاتنا هذه ووقف معنا حتى ندفع وقد وقف قبل ذلك بعرفة ليلاً أو نهاراً فقد تم حجه وقضى تفثه» أبو داود وصححه الألباني.

دعاء يوم عرفة!

عن طلحة بن عبيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" [الترمذي وصححه الألباني].

ما يجتنبه المضحي

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيتم هلال ذي الحجة، وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره" [أخرجه مسلم]

من هدي الصحابة في العيد

عن جبير بن نفير قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: "تقبل الله منا ومنك". [فتح الباري]

إعداد: علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

إخلاص النية في الحج

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "حج النبي صلى الله عليه وسلم على رحل رث، وقطيفة تساوي أربعة دراهم، أو لا تساوي، ثم قال: "اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة".

[ابن ماجه وصححه الألباني]

رفع الصوت عند التلبية

عن زيد بن خالد قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أتاني جبريل فقال لي: إن الله يأمرك أن تأمر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية، فإنها من شعائر الحج". [أخرجه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٧].

فضل صيام يوم عرفة

عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صوم يوم عرفة يكفر سنتين: ماضية ومستقبلة" [أخرجه مسلم].

فضل العشر الأُوَل من ذي الحجة

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما العمل في أيام أفضل منها في هذه" قالوا: ولا الجهاد؟ قال: "ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء". [أخرجه البخاري]

رفع الصوت بالتكبير أيام العيد

كان عمر رضي الله عنه يكبر في قبته بمنى، فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج تكبيرًا. وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام، وخلف الصلوات، وعلى فراشه، وفي فسطاطه، ومجلسه وممشاه، تلك الأيام جميعًا. وكانت ميمونة تكبر يوم النحر، وكان النساء يكبرن خلف أبان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز ليالي التشريق مع الرجال في المسجد. [صحيح البخاري].

التكبير
فضائل وأحكام

إعداد/ أيمن دياب

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فيا أيها القارئ الكريم اعلم أن أعظم ما تنشرح به الصدور وتطيب، ذكر الله جل وعلا فهو شفاء للصدور ونور للبصائر واطمئنان للقلوب، قال الله تعالى: «أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ» [الرعد/ ٢٨].

إن المحفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر الله تعالى شيء يفوق الحصر، فهو أعظم الذاكرين لربه صلى الله عليه وسلم كان ذاكراً لله جل وعلا مذ أن قال الله له: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ» [المدثر/١-٣]. ذاكراً لله جل وعلا في قيامه وقعوده، في ذهابه وإيابه، في سفره وإقامته، فهو الذي بلغ الغاية في ذكر الله تعالى في الأولين والآخرين. إلا أن كلمة من هذا المحفوظ تلفت الأنظار وتجذب الأسماع لكثرة ترددها وتكرارها ولوجازة لفظها وعظم معناها إنها كلمة (الله أكبر).

فضائل التكبير
اللهُ أَكْبَرُ فطرةُ الله

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الأَذَانَ فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلاَّ أَغَارَ، فَسَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:«عَلَى الْفِطْرَةِ»» رواه مسلم ح(٣٨٢). شهادة من النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الكلمة كلمة الفطرة.

الله أكبر كلمة جامعة لمعاني العبودية دالة على أصول عبادة الله تعالى وفروعها. الله أكبر أصدق كلام وأعذبه وأحلاه.

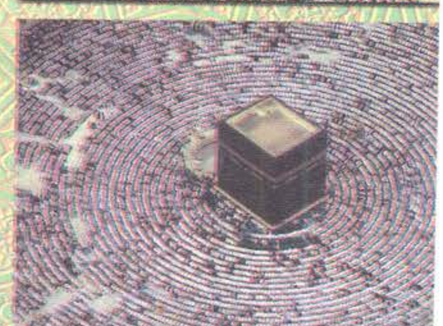
الله أكبر أبلغ لفظ يدل على تعظيم الله تعالى وتمجيده وتقديسه.

الله أكبر كلمة جمعت الخير؛ ففيها الشهادة لله تعالى بأنه أكبر من كل شيء، وأنه سبحانه أجل من كل شيء، وأنه تعالى أعظم من كل شيء.

فعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ حينما دعاه إلى الإسلام: «يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ مَا أَفَرَّكَ؟-أي: ما الذي جعلك تهرب وتفر- أَنْ يُقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَهَلْ مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ؟ مَا أَفَرَّكَ؟ أَنْ يُقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَهَلْ شَيْءٌ هُوَ أَكْبَرُ مِنَ اللَّهِ ؟» صحيح سنن الترمذي ح (٢٩٥٤).

بهذا يبين لنا النبي صلى الله عليه وسلم على





ماذا تقوم دعوته، إنها تقوم على إفراد الله تعالى بالعبادة وتعظيمه جل وعلا فالله سبحانه وتعالى أكبر من كل شيء قدراً، وعزة وجلالاً:

الله أكبر عداد للحسنات

عَنْ أَبِى سَعِيد الْخُدْرِىِّ وَأَبِى هُرَيْرَةَ -رضي الله عنهما- أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنَ الْكَلاَمِ أَرْبَعاً «سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ» فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عِشْرِينَ حَسَنَةً أَوْ حَطَّ عَنْهُ عِشْرِينَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ كُتِبَتْ لَهُ ثَلاَثُونَ حَسَنَةً وَحُطَّ عَنْهُ ثَلاَثُونَ سَيِّئَةً» صحيح الترغيب والترهيب ح (١٥٥٤).

قال صاحب فيض القدير (٢/٢٦٦) قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنَ الْكَلاَمِ أَرْبَعاً»: «فهي مختار الله من جميع كلام الآدميين».

الله أكبر كلمة تنفض الخطايا:

عَنْ أَنَس بْنِ مَالِك رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَخَذَ غُصْناً فَنَفَضَهُ فَلَمْ يَنْتَفِضْ ثُمَّ نَفَضَهُ فَلَمْ يَنْتَفِضْ ثُمَّ نَفَضَهُ فَانْتَفَضَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ تَنْفُضُ الْخَطَايَا كَمَا تَنْفُضُ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا» وعند الترمذي بلفظ: «لَتُسَاقِطُ مِنْ ذُنُوبِ الْعَبْدِ كَمَا تَسَاقَطَ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ» صحيح الترغيب والترهيب ح (١٥٧٠).

الله أكبر غرس الجنة:

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْسًا فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا الَّذِى تَغْرِسُ». قُلْتُ غِرَاسًا لِى. قَالَ: «أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ خَيْرٍ لَكَ مِنْ هَذَا»؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «قُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ يُغْرَسْ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةٌ فِى الْجَنَّةِ» صحيح الترغيب والترهيب ح (١٥٤٩).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ u لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِى فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّى السَّلاَمَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ» الصحيحة ح (١٠٥)، وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ قِيعَانًا فَأَكْثِرُوا مِنْ غَرْسِهَا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا غَرْسُهَا قَالَ: " سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ "» صحيح الترغيب والترهيب ح (١٥٥١).

قال العلامة ابن عثيمين- رحمه الله-: «يعني أن الإنسان إذا قالها يغرس له في الجنة غرسًا في كل كلمة، ومنها أن ذكر الله من أفضل الأعمال وأوفاها وأحبها إلى الله بل هو من أسباب الثبات عند اللقاء كما قال الله تعالى: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾» [الأنفال: ٤٥] مثل هذه الأحاديث كلها تدل على فضيلة الذكر، وأنه ينبغي للإنسان أن يكثر من ذكر الله» شرح رياض الصالحين ح (١٤٤٠).

الله أكبر من أحب الكلام إلى الله:

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَحَبُّ الْكَلاَمِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ. لاَ يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ» رواه مسلم ح (٢١٣٧).

قال الإمام الصنعاني-رحمه الله-: «يعني إنما كانت أحبه إليه تعالى لاشتمالها على تنزيهه، وإثبات الحمد له والوحدانية والأكبرية وقوله لا يضرك بأيهن بدأت دل على أنه لا ترتيب بينها ولكن تقديم التنزيه أولى» سبل السلام (٢/٢١٧).

من ضن بالمال أن ينفقه وهاب العدو أن يجاهده والليل أن يكابده فليكثر من قول " سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ":

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلاَقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللهَ يُعْطِي الْمَالَ مَنْ يُحِبُّ، وَمَنْ لاَ يُحِبُّ، وَلاَ يُعْطِي الإِيمَانَ، إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ فَإِذَا أَحَبَّ عَبْدًا أَعْطَاهُ الإِيمَانَ، فَمَنْ ضَنَّ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ وَهَابَ اللَّيْلَ أَنْ يُكَابِدَهُ، وَخَافَ الْعَدُوَّ أَنْ يُجَاهِدَهُ فَلْيُكْثِرْ مِنْ سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ» صحيح الترغيب والترهيب ح (١٥٧١).

" الله أكبر " من الباقيات الصالحات:

عَنْ الْحَارِثِ مَوْلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه يَقُولُ: «جَلَسَ عُثْمَانُ يَوْمًا وَجَلَسْنَا مَعَهُ فَجَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ فَدَعَا بِمَاءٍ فِي إِنَاءٍ أَظُنُّهُ سَيَكُونُ فِيهِ مُدٌّ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَتَوَضَّأُ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ قَالَ: وَمَنْ تَوَضَّأَ وُضُوئِي ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى صَلاَةَ الظُّهْرِ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الصُّبْحِ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلاَةِ الظُّهْرِ ثُمَّ صَلَّى

الْمَغْرِبَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ ثُمَّ لَعَلَّهُ أَنْ يَبِيتَ يَتَمَرَّغُ لَيْلَتَهُ ثُمَّ إِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى الصُّبْحَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ " وَهُنَّ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ " قَالُوا: هَذِهِ الْحَسَنَاتُ فَمَا الْبَاقِيَاتُ يَا عُثْمَانُ؟ قَالَ: (هُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)» صحيح الترغيب والترهيب ح (٣٦٦).

الله أكبر تثقل الميزان:

عَنْ أَبِي سَلْمَى رضي الله عنه، رَاعِي رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «بَخٍ بَخٍ، مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَالْعَبْدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمُسْلِمِ فَيَحْتَسِبُهُ» صحيح الترغيب والترهيب ح (١٥٥٧).

الله أكبر جنة من النيران:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «خُذُوا جُنَّتَكُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَمِنْ عَدُوٍّ قَدْ حَضَرَ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ جُنَّتُكُمْ مِنَ النَّارِ قَوْلُ: سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُجَنِّبَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ» صحيح الترغيب والترهيب ح (١٥٦٧). قوله صلى الله عليه وسلم: «خُذُوا جُنَّتَكُمْ» أي وقايتكم من نار جهنم.فيض القدير (٣/٥٨٠).

قول الله أكبر مائة مرة تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة:

عَنْ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ-رضي الله عنها- قَالَتْ: «مَرَّ بِي ذَاتَ يَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ أَوْ كَمَا قَالَتْ فَمُرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ وَأَنَا جَالِسَةٌ قَالَ: سَبِّحِي اللَّهَ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ رَقَبَةٍ تُعْتِقِينَهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاحْمَدِي اللَّهَ مِائَةَ تَحْمِيدَةٍ تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ فَرَسٍ مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ تَحْمِلِينَ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَكَبِّرِي اللَّهَ مِائَةَ تَكْبِيرَةٍ فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ بَدَنَةٍ مُقَلَّدَةٍ مُتَقَبَّلَةٍ» قَالَ ابْنُ خَلَفٍ: أَحْسَبُهُ قَالَ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَا يُرْفَعُ يَوْمَئِذٍ لِأَحَدٍ عَمَلٌ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ مَا أَتَيْتِ بِهِ.الصحيحة ح (١٣١٦).

قُلْتُ: وللتكبير فضائل لا تكاد تحصى ذكرت منها الشيء اليسير تذكيراً بفضلها وعظم أجرها هذا في سائر العام ويزداد هذا الفضل وكذا الأجر في تلكم الأيام التي فضلها الله على أيام العام فعَن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ» صحيح الترغيب ح (١٢٤٨). بل فضلها على أيام الدنيا جميعاً عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«أفضل أيام الدنيا العشر»-يعني عشر ذي الحجة-. صحيح الترغيب ح (١١٥٠).

أحكام التكبير

أولاً: مشروعية التكبير: اتفق الفقهاء على مشروعية التكبير في العيدين في الغدو إلى الصلاة، وفي إدبار الصلوات أيام الحج. أما التكبير في الغدو إلى صلاة العيد: قال الجمهور: يكبر في المنازل والمساجد والأسوق والطرق أي عند الغدو إلى الصلاة جهراً، إلى أن تبدأ الصلاة، لما فيه من إظهار شعائر الإسلام، وتذكير الغير. انظر: الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (٢/١٤٠٦).

لذلك فالتكبير ينقسم إلى قسمين:

(١) مطلق.

(٢) مقيد.

فالمطلق: في عيد الأضحى: من أول عشر ذي الحجة إلى آخر يوم من أيام التشريق.

قال الإمام البخاري-رحمه الله-:" كَانَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ يَخْرُجَانِ إِلَى السُّوقِ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ يُكَبِّرَانِ، وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا " الإرواء ح (٦٥١).

وعن يزيد بن أبي زياد-رحمه الله- قال:" رأيت سعيد بن جبير وعبد الرحمن بن أبي ليلى ومجاهدًا . أو اثنين من هؤلاء الثلاثة . ومن رأينا من فقهاء الناس يقولون في أيام العشر: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد". انظر: أحكام العيدين للفريابي(ص ١١٩).

وعن ميمون بن مهران -رحمه الله- قال:" أدركت الناس وإنهم ليكبرون في العشر حتى كنت أشبهه بالأمواج من كثرتها، ويقول: إن الناس قد نقصوا في تركهم التكبير" انظر: فتح الباري لابن رجب (٩/٩).

والمقيد: في عيد الأضحى: في أدبار الصلوات المفروضة من صلاة الصبح يوم عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق، وقد دل على مشروعية ذلك الإجماع، وفعل الصحابة. انظر "مجموع الفتاوى" (٢٤/٢٢٠)، و"الشرح الممتع" (٥/٢٢٢).

قُلْتُ: وبهذا تعلم أن التكبير المطلق والمقيد يجتمعان في أصح أقوال العلماء في خمسة أيام، وهي: يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق الثلاثة. وأما اليوم الثامن وما قبله إلى أول الشهر فالتكبير فيه مطلق لا مقيد لما تقدم. انظر: مجموع فتاوى ابن باز (١٧/١٣).

وقد اختلف العلماء في محل هذا التكبير المقيد، هل هو قبل الاستغفار وقبل «اللهم أنت السلام ومنك السلام»، أو بعدهما؟

والصحيح بعدهما لأن الاستغفار، وقول: «اللهم أنت السلام» مقدم؛ لأن الاستغفار وقول: «اللهم أنت السلام» ألصق بالصلاة من التكبير، فإنَّ الاستغفار يسنّ عقيب الصلاة مباشرة؛ لأن المصلي لا يتحقق أنه أتقن الصلاة، بل لا بد من خلل، ولا سيما في عصرنا هذا، فالإنسان لا يأتيه الشيطان إلا إذا كبَّر للصلاة. انظر: "الشرح الممتع" (٢١٩/٥).

ثانيا: حكم التكبير:

سَائِرُ الْمَذَاهِبِ عَلَى أَنَّ التَّكْبِيرَ سُنَّةٌ أَوْ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ. انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٧/ ٢٥٠).

ثالثاً: صفة التكبير: قد ثبت عن الصحابة أكثر من صيغة منها أثر ابن مسعود رضي الله عنه: " أنه كان يكبر أيام التشريق: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ» " صحيح. انظر: الإرواء تحت ح (٦٥١).

وأما ما زاده العامة في هذا الزمان على التكبير مما هو مسموع ومعروف، فمخترع لا أصل له، قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-:" وَقَدْ أُحْدِثَ فِي هَذَا الزَّمَانِ زِيَادَةٌ فِي ذَلِكَ لَا أَصْلَ لَهَا" الفتح (٥٣٦/٢).

قُلْتُ: ويرفع الرجال أصواتهم بالتكبير دون النساء فلا يشرع في حقهن الرفع، مع مراعاة أن يكبر كل شخص بنفسه، مع الابتعاد عن التكبير الجماعي سواء كان في التكبير المطلق أو المقيد.

وأما فعل ابن عمر وأبي هريرة -رضي الله عنهم- أنهما كانا يخرجان إلى السوق أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما، فالمراد أن الناس يتذكرون التكبير فيكبر كل واحد بمفرده، وليس المراد التكبير الجماعي بصوت واحد فإن هذا غير مشروع.

وقد سئلت اللجنة الدائمة (٣١٥/١٠) الفتوى رقم (٩٨٨٧) عن حكم التكبير الجماعي:

فأجابت: التكبير الجماعي بصوت واحد ليس بمشروع بل ذلك بدعة؛ لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، ولم يفعله السلف الصالح، لا من الصحابة، ولا من التابعين ولا تابعيهم، وهم القدوة، والواجب الإتباع، وعدم الابتداع في الدين. وبالله التوفيق.

وقال العلامة الألباني-رحمه الله-:" ومما يحسن التذكير بهذه المناسبة أن الجهر بالتكبير هنا لا يشرع فيه الإجتماع عليه بصوت واحد كما يفعله الناس" (الصحيحة:٢٨١/١).

رابعا: التكبير في صلاة العيد:

صلاة العيد ركعتان، لحديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «صَلَاةُ السَّفَرِ رَكْعَتَانِ، وَصَلَاةُ الْأَضْحَى رَكْعَتَانِ، وَصَلَاةُ الْفِطْرِ رَكْعَتَانِ، وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ رَكْعَتَانِ، تَمَامٌ غَيْرُ قَصْرٍ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم» (صحيح سنن ابن ماجه) (٣٣٨/١)، يُكبِّر في الركعة الأولى سبع تكبيرات بعد تكبيرة الإحرام، وفي الركعة الثانية خمس تكبيرات بعد تكبيرة الانتقال، فعن عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ:«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَبَّرَ فِي الْعِيدَيْنِ سَبْعًا فِي الْأُولَى وَخَمْسًا فِي الْآخِرَةِ»"صحيح سنن ابن ماجه"(٤٠٧/١). قَالَ الإمام التِّرْمِذِيّ-رحمه الله-:"سَأَلْتُ مُحَمَّدًا يَعْنِي الْبُخَارِيَّ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَالَ لَيْسَ فِي الْبَابِ شَيْءٌ أَصَحَّ مِنْ هَذَا وَبِهِ أَقُولُ". زاد المعاد (١/ ٤٤٤).

وقال الإمام البغوي-رحمه الله-: «وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَمَنْ بَعْدَهُمْ أَنَّهُ يُكَبِّرُ فِي صَلاةِ الْعِيدِ فِي الأُولَى سَبْعًا سِوَى تَكْبِيرَةِ الافْتِتَاحِ، وَفِي الثَّانِيَةِ خَمْسًا سِوَى تَكْبِيرَةِ الْقِيَامِ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعَلِيٍّ، وَابْنِ عُمَرَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَبِهِ قَالَ الزُّهْرِيُّ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَمَالِكٌ، وَالأَوْزَاعِيُّ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ» شرح السنة (٣٠٩/٤) ط. المكتب الإسلامي.

ويستحب بين كل تكبيرتين أن يقول:(سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم) لما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «بَيْنَ كُلِّ تَكْبِيرَتَيْنِ حَمْدٌ لِلَّه سبحانه ، وَثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ» حسنه العلامة الألباني في "القول البديع".

والحمد لله رب العالمين

ما بين المصلحة الـ

أثر السياق في فهم النص

الحلقة (٤٣)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ذكرنا أن الشريعة مبنية على مراعاة المصالح، وأنها نظام عام لجميع البشر يكفي حاجات الناس المتعددة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ لأنها مراعًى فيها مجرى العوائد المستمرة، وأن اختلاف الأحكام عند اختلاف العوائد، ليس اختلافًا في الخطاب الشرعي نفسه، بل عند اختلاف العوائد، ترجع كل عادة إلى أصل شرعي يُحكم بها عليه.

فالشريعة وُضعت لمصلحة العباد في العاجل والآجل معًا، في الدنيا والآخرة، من التزام ما شرّعه لنا الله سبحانه وتعالى.

وليس معنى مراعاة المصالح والمقاصد، أن نعتبر أنهما أساس الشرع، أو أن نجعل العقل هو المعيار في تحقيق المصالح من عدمها، فهذا سيؤدي إلى تفلت الناس من الشرع، ويسيرون في الدنيا بحسب ما تراه عقولهم وأهواؤهم أن فيه مصلحة لهم.

ولو سلمنا - جدلاً - أن هذا يؤدي إلى مصلحة العباد في الدنيا، فإنه لا يؤدي إلى ذلك في الآخرة؛ لأن هناك ارتباطًا وثيقًا بين مصلحتي الدنيا والآخرة، فالمصالح في العاجل لا تتحقق إلا بما تتحقق به المصالح في الآجل.

يقول الشاطبي: «المصالح المجتلبة شرعًا والمفاسد المستدفعة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية أو درء مفاسدها العادية...

فإن الشريعة إنما جاءت لتخرج المكلفين من دواعي أهوائهم حتى يكونوا عبادًا لله، وهذا المعنى إذا ثبت لا يجتمع مع فرض أن يكون وضع الشريعة على وفق أهواء النفوس وطلب منافعها العاجلة كيف كانت، وقد قال ربنا سبحانه وتعالى: «وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ» [المؤمنون: ٧١]. (الموافقات: ٢/٦٣، ٦٤).

وإلا فما الفارق بيننا وبين الناس قبل نزول الشرع، فالإنسان كان يشرّع لنفسه قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بعقله وبما يراه مصلحة، فأدى ذلك إلى شقائه حتى بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فبيّن للناس ما يؤدي إلى المصلحة الحقيقية، التي يعلم الله وحده السبيل إليها، ويجهل سبيلها الإنسان، الذي قد يسلك إلى شقائه وهلاكه ظانًا لضعفه وقصور إدراكه أنه يسلك إلى المصلحة والطمأنينة.

لكن بعض المفكرين المعاصرين يتوسع في أمر المصلحة توسعًا مخلاً، متأثرًا في ذلك بمؤثرات كثيرة، منها الثقافة الغربية، والعلمانية، والليبرالية، وغيرها، وخاصة في نظر هؤلاء للتشريع وللمرأة.

فهذا الغلو في المصلحة وجعلها هي الأساس للحكم على أي أمر، يجعل العقل هو الحاكم على الشرع فيدرس الواقع دراسة عقلية، وتدرس جوانب المصلحة والمفسدة فيه، ثم يكون حكم الشرع في ذلك الواقع بحسب المصلحة كما يراها العقل، فإذا غلّب العقل جانب المصلحة كان ذلك الأمر أو الواقع مشروعًا، وإذا غلب جانب المفسدة كان العكس.

وهذا سيؤدي إلى استبعاد أحكام الشريعة التي لا توافق أهواءهم أو عقولهم، ويسوغون لذلك بكلام مزخرف من أن المجتمعات تتغير وتتبدل مما يستدعي تطور الأحكام لتجاري المجتمعات، فالمنهج الإسلامي الذي يصلح لجماعة ما أو زمان ما لا يصلح لكل جماعة وكل زمان، فإذا لم تتطور الشريعة تصبح جامدة وغير صالحة. [مقدمة الموافقات لمشهور بن حسن بتصرف].

مثال ذلك:

في كتاب «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» يتكلم المؤلف عن تولي المرأة الإمامة العظمى، فيقول: ولقد استند المجيزون إمامة المرأة الولاية العظمى إلى أن عمومات الإسلام تؤكد المساواة بين الذكر والأنثى، وأن الحديث المذكور (يقصد حديث: "لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة" صحيح البخاري). لا يمثل أساسًا صالحًا لتخصيص عموم المساواة، ذلك أن الحديث المذكور ورد بخصوص حادثة معينة صورتها أنه لما ورد على النبي صلى الله عليه وسلم أن كسرى فارس مات، وأن قومه ولوا ابنته مكانه، قال عليه السلام

ـشرعيـة والمصلحة الموهومة

إعداد/ متولي البراجيلي

ذلك القول تعبيرًا عن سخطه على قتلهم رسوله إليهم، فالحديث لا يتعدى التعليق على الواقعة المذكورة..

ثم قال: خاصة وأن علماء الأصول لم يتفقوا على أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب..

ثم قال: فضلاً عن ظنية الحديث من جهة السند». (ص١٢٩).

وقد اعتمد الكاتب في دعواه على أمور:

١- عمومات الإسلام تؤكد المساواة بين الذكر والأنثى.

٢- الحديث المذكور خاص بواقعة معينة فقط وهي تولي ابنة كسرى للحكم.

٣- عدم الاتفاق على أن العبرة لعموم اللفظ وليست لخصوص السبب.

٤- أن الحديث ظني من جهة السند.

أما بالنسبة للرد على النقطة الأولى: فالذكر والأنثى أصل خلق الإنسان: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى» [الحجرات: ١٣].

والله تعالى سوّى بينهما في أصل التكاليف والجزاء: «أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ» [آل عمران: ١٩٥].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما النساء شقائق الرجال». [صحيح أبي داود والترمذي وغيرهما].

هذا على العموم فهما يتساويان في الحقوق والواجبات، إلا ما خرج من هذا العموم بدليل؛ كجعل القوامة للرجل على المرأة، والتفرقة بينهما في الميراث، وفي الشهادة، وصلاة الجمعة والجماعات، وفي حق الطلاق... إلى غير ذلك.

فهذا وغيره يخرج من العموم؛ لأن المشرع واحد، فالذي أمر بالعموم هو الذي خصص، فالواجب الطاعة في الحالتين، والشريعة كلها عدل، تعطي كل أحد ما يستحقه.

أما النقطة الثانية: قوله أن الحديث واقعة عين لا يتعداها إلى غيرها.

فهذا الكلام يصح إذا ثبت أن الحديث واقعة عين، أي لا يعمم على غيره من وقائع، وإنما هو مقصور على ما قيل فيه.

والأصل أن النصوص عامة، ومن ادَّعى أن الحديث خاص بواقعة معينة لا يتعداها مطالب بالدليل، فكيف إذا ورد في بعض روايات الحديث ما يفيد العموم.

فورد في سنن الترمذي بسنده عن أبي بكرة رضي الله عنه، قال: عصمني الله بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي رواية: لقد نفعني الله بكلمة أيام الجمل، لما هلك كسرى، قال: من استخلفوا؟ قالوا: ابنته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة».

قال أبو بكرة رضي الله عنه: فلما قدمت عائشة -يعني البصرة- ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمني الله به. وفي رواية: فعرفت أن أصحاب الجمل لن يفلحوا. [صحيح سنن الترمذي وغيره].

ولا شك كما هو معلوم أن راوي الحديث أدرى به، فهو الذي شهد سبب ورود الحديث، ويعلم مراد النبي صلى الله عليه وسلم منه.

قال الحافظ ابن حجر: قال ابن التِين: احتج بحديث أبي بكرة من قال: لا يجوز أن تُولّى المرأة القضاء، وهو قول الجمهور. [فتح الباري: ٥٦/١٣].

وقال الخطابي: في الحديث أن المرأة لا تلي الإمارة ولا القضاء. [عمدة القاري ٥٩/١٨].

النقطة الثالثة: قوله: عدم الاتفاق على أن العبرة بعموم اللفظ وليست بخصوص السبب.

فالجمهور على أن العبرة بعموم اللفظ وليست بخصوص السبب من وجهين:

الأول: أن الحجة في لفظ الشارع لا في سببه.

الثاني: أن أكثر أحكام الشرع العامة وردت لأسباب خاصة، كورود حكم الظهار في أوس بن الصامت، وحكم اللعان في شأن هلال بن أمية، والفدية في شأن كعب بن عُجَرَة، وغير ذلك.

فلو كان السبب الخاص يقتضي قصر الحكم عليه، لما عمت هذه الأحكام، وهذا باطل بل من الأدلة ما يؤيد أن العبرة بعموم اللفظ.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن رجلاً

أصاب من امرأة قُبلةً، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله تعالى: «وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّـَٔاتِ» [هود: ١١٤]. فقال الرجل: يا رسول الله، ألي هذا؟ قال: لجميع أمتي كلهم، وفي رواية: لمن عمل بها من أمتي. [متفق عليه].

فالصحابي يسأل هل الأمر مقصور عليَّ؛ لأني سبب نزول الآية، وسبب ورود الحديث، فيجيب النبي صلى الله عليه وسلم موضحًا بأن العبرة بعموم اللفظ وليست بخصوص السبب.

ولأن هذا هو الأصل، فالمشرع إذا أراد قصر الحكم بيَّن ذلك، لأن هذا هو خلاف الأصل كما في قوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم عن الواهبة: «وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» [الأحزاب: ٥٠]. مع أن الخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم.

وكذلك في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه لما جاء أبو بردة رضي الله عنه يقول: يا رسول الله والله لقد نسكت (ذبحت) قبل أن أخرج إلى الصلاة (يعني ذبح قبل صلاة عيد الأضحى)، وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب فتعجلت فأكلت وأطعمت أهلي وجيراني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تلك شاة لحم (ليست أضحية)، قال: فإن عندي عناقًا جذعة (ماعز صغيرة) خير من شاتي لحم، فهل تجزئ عني؟ قال: نعم، ولن تجزئ عن أحد بعدك. [صحيح سنن النسائي].

وما نسب إلى الإمام مالك أنه يخالف الجمهور في هذه المسألة، نفاه الشنقيطي فقال : والتحقيق عن مالك أنه يوافق الجمهور في هذه المسألة. (مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي ١/٢٥٢).

وكذلك ما نقل عن الشافعي أنه يخالف الجمهور في هذه المسألة: قال السبكي: وقال في «مختصر التقريب والإرشاد» نُقل المذهبان جميعًا عنه (أي الشافعي)، واعلم أن الذي صح من مذهب الشافعي رضي الله عنه موافقة الجمهور خلاف ما ذكره إمام الحرمين. (الإبهاج في شرح المنهاج ٢/١٨٥).

يقول الشوكاني: «وهذا المذهب هو الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة (العبرة بعموم اللفظ)؛ لأن التعبد للعباد إنما هو باللفظ الوارد عن الشارع، وهو عام ووروده على سؤال خاص لا يصلح قرينة لقصره على ذلك السبب، ومن ادعى أنه يصلح لذلك فليأت بدليل تقوم به الحجة، ولم يأت أحد من القائلين بالقصر على السبب بشيء يصلح لذلك. [إرشاد الفحول ١/٣٣٥].

النقطة الرابعة: قوله أن الحديث ظني من جهة السند. يعني أن الحديث آحاد ليس بمتواتر، وبالتالي لا يفيد القطع، فلا يُعمل به في العقائد، وإنما يُعمل به في الأحكام، (والحديث أخرجه البخاري والترمذي والنسائي وأحمد من طرق عن أبي بكرة رضي الله عنه) ،وهذا مما قال به بعض علماء الكلام وأشيع بين الناس على أنه قاعدة، وهذا ليس بصحيح، فلا دليل يفرّق بين العقائد والأحكام في الشرع.

بل قال الله تعالى: «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» [سورة التوبة: ١٢٢].

فقد حض الله تعالى المؤمنين على أن ينفر منهم طائفة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليتعلموا منه دينهم ويتفقهوا فيه، ولا شك أن ذلك يشمل كل الدين، بل تقدم العقيدة.

والطائفة في لغة العرب تطلق على الواحد فما فوق.

وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا» [الحجرات: ٦] بمفهوم المخالفة تدل على أن العدل الواحد إذا جاء بخبر ما فالحجة قائمة به.

أما السنة فتوجد بها أدلة كثيرة من إرسال النبي صلى الله عليه وسلم الواحد من الصحابة يعلم الناس دينهم، ولا شك أن هذا يشمل كل الدين.

كما في حديث أنس رضي الله عنه: أن أهل اليمن قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ابعث معنا رجلًا يعلمنا السنة والإسلام. قال: فأخذ بيد أبي عبيدة، فقال: هذا أمين هذه الأمة. [متفق عليه].

وكذلك إرسال علي بن أبي طالب، ومعاذ جبل، وأبي موسى الأشعري، وغيرهم رضي الله عنهم وأحاديثهم في الصحيحين.

ثم حتى على دعواه التي رد بها حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الحديث في الأحكام وليس في العقائد.

ومما يقوله المفكر الإسلامي في كتابه : إلا أن الأحكام الشرعية، وخاصة ما تعلق منها بنظام الدولة الإسلامية ما ينبغي أن تبنى على سند ظني مهما كانت درجة الظنية ضئيلة. [المصدر السابق ص١٢٩].

أي أنه يشترط القطع من ناحية الثبوت ومن ناحية الدلالة للعمل بالحكم، وهذا منهج غريب. (ويلاحظ أن هذا الكلام قالته المحكمة الدستورية في تفسيرها لأحكام الشريعة). وهذا المذهب الحادث سيؤدي إلى إبطال أكثر أحكام الشرع.

فإن القرآن وإن كان قطعي الثبوت، فأكثره ظني الدلالة، والسنة أكثرها ظني الدلالة ظني الثبوت، فمن اشترط للاحتجاج بالأدلة أن تكون قطعية الثبوت والدلالة، فقد رد معظم الشريعة، وناقض إجماع الأمة.

[القرآن قطعي الثبوت نقل إلينا بالتواتر جيلاً بعد جيل، فالذي في المصحف الآن هو الذي نزل به جبريل عليه السلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

لكن به الكثير من الآيات ظنية الدلالة تحتمل أكثر من معنى في تفسيرها. وتحتمل الاختلاف فيها.

أما قطعي الدلالة فهو ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا فقط. كقوله تعالى: «لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ» [النساء: ١١]، وكقوله: «تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ» [البقرة: ١٩٦].

فهذه النصوص لا تحتمل إلا معنى واحدًا فقط.

أما السنة فهي متواترة أو آحاد، فالمتواتر وإن كان قطعي الثبوت، إلا أنه قد يكون ظني الدلالة، والآحاد اختلف فيه هل يفيد الظن أو القطع؟ فالجمهور على أنها تفيد الظن، وذهب آخرون إلى أنها تفيد القطع إذا احتفت بها القرائن.

ومن أمثلة ذلك: أحاديث البخاري ومسلم في الصحيحين.

فالقرائن دالة على صدقها لجلالة صاحبيهما، وتلقي العلماء لكتابيهما بالقبول، وهذا التلقي وحده أقوى في إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق.

واختار هذا القول من الأصوليين: ابن الحاجب، وإمام الحرمين، والآمدي، والبيضاوي، وشيخ الإسلام ابن تيمية.

وإذا كانوا اختلفوا في قطعية ثبوته أو ظنيته، إلا أنهم لم يختلفوا على أنه حجة يجب العمل به عند جماهير أهل العلم من السلف والخلف.

قال في «شرح الكوكب المنير»: ومنع قوم من قبول خبر الآحاد مطلقًا، منهم ابن أبي داود، وبعض المعتزلة، وبعض القدرية والظاهرية، وكذلك الرافضة. [شرح الكوكب المنير٢/٣٦٥].

يقول ابن عبد البر في «التمهيد»: «وأجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار فيما علمت على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا، إلا الخوارج، وطوائف من أهل البدع شرذمة لا تُعد خلافًا». [التمهيد ١/٢].

وقال القرطبي: وفيها دليل على قبول خبر الواحد عند تفسيره قوله تعالى: «سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا» [البقرة: ١٤٢]، وهو مجمع عليه (أي قبول خبر الواحد) من السلف معلوم بالتواتر. [تفسير القرطبي ٢/١٥٢].

ولا يشترط للاحتجاج والعمل أن يكون النص قطعي الثبوت والدلالة؛ لأننا متعبَدون بغلبة الظن.

فالنظر إلى المصلحة وجعلها حاكمة على الشرع لم يقل به أحد من علمائنا، بل وضعوا القيود والضوابط للعمل بهذه المصلحة.

ضوابط العمل بالمصلحة:

١- ألا تكون المصلحة مصادمة لنص أو إجماع.

٢- أن تعود على مقاصد الشريعة بالحفظ والصيانة.

٣- ألا تكون المصلحة في الأحكام التي لا تتغير، كالواجبات والمحرمات والحدود والمقدرات الشرعية، ويدخل في ذلك الأحكام المنصوص عليها، والمجمع عليها، وما لا يجوز فيه الاجتهاد.

٤- ألا تعارضها مصلحة أرجح منها أو مساوية لها، أو يلزم من العمل بها مفسدة أرجح منها أو مساوية لها.

٥- أن تكون المسألة نافعة إما بجلب نفع أو بدفع ضر.

٦- أن تكون من الضروريات سواء في الدين أو الدنيا [الدين، النفس، العقل، العِرْض، المال].

٧- أن يكون مستندها أصول الدين العامة.

٨- أن تكون المسألة عامة، وليست خاصة بفرد أو مجموعة أفراد، وقد عمل الصحابة رضي الله عنهم بالمصلحة بضوابطها، من ذلك:

نقط المصحف، وتشكيله، لأجل حفظه من التصحيف والخطأ، وكتابته من أجل عدم نسيانه.

وحرق عثمان رضي الله عنه للمصاحف، وجمع الناس على مصحف واحد؛ خوفَ الاختلاف.

ومن ذلك تولية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما، ولا مستند له فيها إلا المصلحة، وترك عمر رضي الله عنه الخلافة شورى بين ستة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم تُوفي وهو عنهم راض.

وهدم عثمان رضي الله عنه وغيره الدور المجاورة للمسجد لأجل توسعته.

ومن ذلك شراء عمر رضي الله عنه دار صفوان بن أمية واتخاذها سجنًا لمعاقبة أهل الجرائم، والسجن من العقوبات الشديدة، ولذا قُرن بالعذاب الأليم، في قوله تعالى: «إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [يوسف: ٢٥].

ولم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه سجن، فلما انتشرت الرعية ابتاع بمكة دارًا وجعلها سجنًا يسجن فيه، وفيه دليل على جواز اتخاذ السجن، وقد سجن عمر رضي الله عنه الحطيئة الشاعر على شعره في الهجاء، وسجن صبيغًا على سؤاله عن المتشابه والمشي بذلك بين الناس من أجل الفتنة.

ومن ذلك تدوين الدواوين، وإن أول من دوَّنها في الإسلام عمر رضي الله عنه، وليس في ذلك نص إلا المصلحة، وقد وافقه الصحابة على ذلك من غير نكير. [انظر المصالح المرسلة للشنقيطي ص١١، ١٢].

وللحديث بقية.

والحمد لله رب العالمين.



الحلقة الثانية

قصة صاحب الجنتين

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، والصلاة والسلام على النبي الأمي المصطفى المختار، وعلى آله وصحبه الصادقين الأبرار، أما بعدُ:

لعلك تذكر أخي القارئ الكريم أن الحوار وقف بنا في قصة صاحب الجنتين عند طلب الرجل الصالح من صاحبه أن يعترف بالنعمة لُمسديها، وأن يحرص على اتخاذ أسباب الشكر والوقاية لدوام النعمة واستمرارها، فقال لصاحبه وهو يحاوره: (وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا) [الكهف: ٣٩]، وهنا نقطة فارقة في الحوار، فالرجل الفقير الصالح استشعر في نفسه النقص والاحتقار، وشعر بالظلم والإهانة من خلال حوار الآخر الذي يتفاخر عليه بماله وعشيرته، فقال له: (فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا) [الكهف: ٤٠].

«فعسى ربي» اختلف المفسرون حول هذه الجملة، هل هي للرجاء أم للتوقع، إن كانت للرجاء فهي دعاء من رجل ظُلم. وإن كانت للتوقع فهي جارية مع سنن الله التي لا تحابي أحدًا، ودوام الحال من المحال، و(يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ) [النور: ٤٤]، وأيما كان الأمر فقد وقع ما يتوقعه الصالح، وما كان يغفل عنه صاحبه الجاهل الظالم لنفسه، وإن كانت دعاء فهي كرامة للرجل الصالح.

«حسبانًا» أمرًا مقدرًا من الله كالصواعق المحرقة أو غيرها.

«صعيدًا» أي لا ثبات فيها.

«زلقًا» قد غمرتها المياه.

«غورًا» أي يذهب ماء هذا النهر الذي أجراه الله فيتفرق في الأرض ويختفي، فلن تتمكن من الحصول عليه مهما حاولت.

ثانيًا: ماذا حدث بعد هذا الدعاء أو التوقع؟

قال تعالى: (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ

﴿أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢].

«﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾» أحاط الله بثمره إحاطة عذاب وإهلاك؛ بسبب كفره وطغيانه، وهذه عقوبة عاجلة في الدنيا قبل الآخرة، وهي في نفس الأمر كرامة للعبد الصالح، وهذه الإحاطة لم تُبق في الثمر شيئًا، ووقفت الأشجار بلا ثمر، ولعلها احترقت ولم يبق فيها شيء، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾.

ثالثًا: اعترف الرجل أنه أخطأ خطأً كبيرًا بشركه وكفره، فقال: «يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا»، وتقلب الكفين حركة يفعلها المتحسر ومثلها قولهم: «قرع السن من ندم»، وقوله تعالى: «عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ»، وقال العلامة ابن عاشور في قوله تعالى: «وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا»: «وهذا التركيب أرسله القرآن مثلاً للخراب التام الذي هو سقوط سقف البناء وجدرانه، وجعل ذلك مثلاً لكل هلاك تام لا تبقى معه بقية من الشيء الهالك».

وجملة: «يقول» حكاية لتندمه على ما فرط منه حين لا ينفع الندم بعد حلول العذاب». اهـ.

ثم قال ابن عاشور: «وهذا ندم على الإشراك فيما مضى وهو مؤذنٌ بأنه آمن بالله وحده حينئذ». والله أعلم.

المحور الثالث: تعقيبات القرآن والدروس المستفادة:

أولاً تعقيبات القرآن:

قال تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: ٤٣].

١- هذا كقوله تعالى عن قارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١]، فذلك الرجل الذي قال لصاحبه: «أنا أكثر منك مالاً وأعز نفرًا» اغتر بماله وعشيرته أين ماله وعشيرته حين جاء أمر الله؟ لم تنصره عشيرته، ولم ينتصر هو بنفسه، ولا يستطيع لا هو ولا عشيرته ولا من في الأرض جميعًا أن ينصروه من أمر الله إذا جاء.

٢- التعقيب القرآني الثاني:

قال جل وعلا: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤]، عندما يأتي أمر الله فلا رادّ له ولا معقب عليه، والنصرة الحق عندئذ لا تكون إلا لله، لا معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه، قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، وهذا كثير في كتاب الله.

٣- التعقيب الثالث:

قال سبحانه: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٥- ٤٦].

ومناسبة ذكر هذا المثل هنا هو ما أصاب الحديقة من سرعة زوال، فكما تحولت الجنتان بعد نضرة وروعة وثمار متنوعة إلى خراب حين أتى أمر الله؛ لأن قدرة الله مطلقة لا يردها رادّ ولا يمنعها مانع، وكما خلق الأشياء بقدرته فبقاؤها وزوالها أيضًا بقدرته، منه بدأ الخلق وإليه يعود ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١].

وهذا مثل ضربه الله لكل من اغتر بالحياة الدنيا وزينتها، كما اغتر صاحب الجنتين بجنتيه، وغفل عن آيات الله.

ثم عقب بقوله: «الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» كما قال من قبل: «إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا» والباقيات الصالحات من الأقوال والأعمال الصالحة هي خير ما يأمله المؤمن عند ربه، وهي خير ما ينتظر عليه الجزاء والثواب من رب العالمين، فالعاقل من الناس هو الذي يأخذ من دنياه لآخرته، فالدنيا ممر وفي الآخرة المستقر.

ثانيًا: الأمر الثاني من المحور الثالث هو ما نجنيه من ثمار وفوائد بعون الله.

١- من صفات أهل الدنيا الركون إليها والاطمئنان بها، والغفلة عن آيات الله قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ

﴿ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ [يونس: ٧]. وقال تعالى عن صاحب الجنتين: «ما أظن أن تبيد هذه أبدًا».

أ- ومن صفات أهل الدنيا الاغترار بما في أيديهم والإعراض عن منهج الله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ [يونس: ١٥].

وقال تعالى: « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا » [المدثر: ١١- ١٦].

وقال سبحانه: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١١]. ولذلك كان معارضو الرسل على مرِّ التاريخ هم أهل الترف والسرف.

٣- يستخدم أهل الباطل وطلاب الدنيا القياس الفاسد في مقابلة الحجة الواضحة كما استخدم إبليس من قبل هذا القياس الفاسد القبيح في مواجهة أمر الله الواضح الصريح حين قال: «أأسجد لمن خلقت طينًا».

وصاحب الجنتين استخدم القياس الفاسد فقال لصاحبه: «وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا»، فظن بعقله القبيح أن الساعة لو قامت لكان هو من أهل النعيم قياسًا على نعيمه في الدنيا، وهذا من أفسد الأمور، وقد رد الله هذا القياس الفاسد في أكثر من موضع في كتابه الكريم، نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٥- ١٧].

كلا للرَّدع والزَّجْر فهذا القياس خطأ، وجاء بعدها بل للإضراب عما قبلها، وإثبات ما بعدها، فالقضية ليست كما تظنون، ولكنكم انشغلتم بما في أيديكم عن واجبات دينكم وحقوق الفقراء والمساكين، وأعماكم حب الدنيا عن كل حقيقة، والحقيقة أن الله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ولكن لا يعطي الآخرة إلا لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً، ونحن في هذه الحياة مبتلون بالشر والخير فتنة وإلى الله راجعون، فما وجدنا من خير فالحمد لله، وما وجدناه غير ذلك فلا نلوم إلا أنفسنا.

وبعدُ: فإذا افتخر أهل الباطل بباطلهم فإن المؤمن يعتزّ بدينه وتوحيده، وإذا تعلقت قلوب أهل الدنيا بدنياهم فإن المؤمن يثق فيما عند الله أعظم من ثقته بما في يديه، وإذا ارتاب أهل الباطل في الآخرة فإن المؤمن على يقين بموعود الله.

٤- البغي واحتقار الناس من أسباب تعجيل العقوبة، يقول العلامة ابن عاشور: «وأحاط به هذا العقاب لا لمجرد الكفر؛ لأن الله قد يمتع كافرين كثيرين طول حياتهم ويملي لهم ويستدرجهم، وإنما أحاط بصاحب الجنتين من هذا العقاب العاجل جزاء طغيانه، وجعله ثروته وماله وسيلة إلى احتقار المؤمن الفقير، وبهذا كان هذا المثل موضع العبرة للمشركين في مكة الذين جعلوا النعمة وسيلة للترفع عن مجالس الدعوة؛ لأنها تجمع قومًا يرونهم أحط منهم مكانة وطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم طردهم من مجلسه كما تقدم». اهـ بتصرف.

٢- قال ابن كثير رحمه الله: وهذه القصة تضمنت أنه لا ينبغي لأحد أن يركن إلى الحياة الدنيا، ولا يغتر بها، بل يجعل طاعة الله والتوكل عليه في كل حال نُصْب عينيه، وليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه. اهـ.

وهذا كله حال العبد الصالح الذي كان فقيرًا في أمر الدنيا، لكنه كان أغنى الناس بإيمانه وتوحيده.

نسأل الله الهدى والتقى والعفاف والغنى، والحمد لله رب العالمين.

باب الأسرة



شباب حول الرسول صلى الله عليه وسلم

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ وبعد:

معنى الشباب في اللغة:

يحدثنا ابن الأثير، عالم اللغة الكبير – رحمه الله الرحيم القدير– عن المعنى والتفسير ؛ لكلمة الشباب، بكلام مهم مثير. يقول: يُقَالُ شَبَّ يَشِبُّ شَبَاباً، فَهُوَ شَابٌّ، وَالْجَمْعُ شَبَبَةٌ وشُبَّانٌ. وَمِنْهُ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «كنتُ أنَا وابنُ الزُّبير فِي شَبَبَةٍ مَعَنَا».

إذَن فالشباب جمع شاب، وقد تجمع على (شُبان) كفارس وفرسان، وقد تجمع على (شَبَبَة) ككاتب وكتبة، والمؤنث منه شابة وتجمع على (شواب) كدابة ودواب.

وقال أَبُو عُبيد عَنِ الأصمعيّ: الشآبيبُ من الْمَطر الدُّفَعات. وَقَالَ غَيره: شُؤبُوب العَدْوِ دُفَعُهُ.

وَيُقَال للْجَارِيَة: إِنَّهَا لحسنةُ شَآبيبِ الوَجْه، وَهُوَ أَوّل مَا يظْهر من حُسْنها فِي عين النَّاظر إِلَيْهَا.

وقال أَبُو زَيد: الشُّؤبوب: الْمَطر يُصيبُ الْمَكَان ويخطئ الآخر، وَجمعه الشآبيب، وَمثله: النَّجْو والنَّجاء. [تهذيب اللغة ١١/ ٢٩٦]

الشباب جمال وبهاء

ويبين ابن الأثير أن الشباب حُسْنٌ وجمال وبهاء فيقول: إنّ النبي صلى الله عليه وسلم ائتزَرَ ببُرْدَة سَوداء، فَجَعَلَ سوادُها يَشُبُّ بياضَه، وَجَعَل بياضُه يَشُبُّ سَوادَها» وَفِي رِوَايَة «أَنَّهُ لبس مدْرَعةً سَوداء، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا أَحْسَنها عَلَيْكَ يَشُبُّ سَوادُها بياضَك، وبياضُك سَوادَها» أَيْ تُحَسِّنه ويُحَسِّنُها. وَرَجُلٌ مَشْبُوبٌ إِذَا كَانَ أبيضَ الوَجْه أسودَ الشَّعَر، وأَصْلُهُ مِنْ شَبَّ النَّارَ إِذَا أوْقدَها فتَلأْلأَتْ ضِياءً ونُورًا.

وَمِنْهُ حَدِيثُ أُمِّ سَلَمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِينَ تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَة «قَالَتْ: جعلتُ عَلَى وَجْهِي صَبِراً، فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: إنَّهُ يَشُبُّ الوجهَ فَلَا تَفْعَليه» أَيْ يُلوِّنه ويُحَسِّنُه. وَمِنْهُ حَدِيثُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الجَواهر الَّتِي جاءته مِنْ فَتْح نهاوَنْدَ «يَشُبُّ بعضُها بَعْضاً».

وَفِي كِتَابِه صلى الله عليه وسلم لِوَائِل بْنِ حُجْر «إلى الأَقْيَالِ العبَاهِلة، والأَرْوَاعِ المَشَابِيبِ» أي السادة الرؤوس، الزُّهْر الألْوَان، الحِسَانِ المَنَاظِر، واحدُهم مَشْبُوبٌ، كَأنَّمَا أوقدَتَ ألوانُهم بالنَّار.

وَيُرْوَى الأَشِبَّاء، جَمْعُ شَبِيبٍ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُول.

وَفِي حَدِيثِ بَدْرٍ «لمَّا برَزَ عُتبةُ وشَيبةُ والوليدُ، بَرَزَ إِلَيْهِمْ شَبَبَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ» أَيْ شُبَّانٌ، وَاحِدُهُمْ شَابٌّ. [النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٤٣٨].

الشباب قوة وتأثير ونشاط كبير

فكلمة الشباب وجميع مشتقاتها تشير إلى معنى القوة والفتوة والحداثة والجمال والنماء. فالشؤبوب هو الدفعة من المطر، وأول كل شيء وشدةُ دفْعه، يطلق كذلك على شدةَ حرِّ الشمس. وفرس مشب هائج متمرد عَصيّ القياد. والشباب بالكسر النشاط.

وإذا نظرنا بعين الحقيقة إلى فترة الشباب، وجدناها فترة التأثير والتأثر، والعطاء والبذل، لأننا ونحن نُعد الشباب نستثمر مواهبه، ونفجر طاقاته ونستغلها في البناء والتعمير، ودفع العدو المغير، هي فترة الحاجة الماسة إلى التوجيه والترشيد والتبصير والعناية والرعاية.. هي فترة وضع حجر الأساس، وكلما كان الأساس متينًا كان البناء قويًا شامخ الذرى، وكلما كان الأساس ضعيفًا كان البناء هشا سرعان ما يتحطم وينهار عند أول هبة ريح أو رشة مطر.

إذن هي فترة لها ما بعدها، ومرحلة لها أثرها الخطير في المستقبل: سلبًا أو إيجابًا، صلاحًا أو فسادًا، سموًا أو هبوطًا، فلا غرو إن وجدنا رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام يوجه بحسن استغلال هذه الفترة فيقول: "اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك" [الحاكم وصححه الألباني].

كما نجده يوجه الشباب إلى كل ما يحفظ عليهم صحتهم، ويستبقي قوتهم، ويصون أخلاقهم فيقول: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة -المقدرة على الزواج والقيام بواجباته الحسية والمعنوية- فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" [متفق عليه].. أي وقاية من الوقوع في الفاحشة والآثام -إنما خص الشباب بوصيته الغالية لحاجتهم إليها بحكم نوازعهم الفطرية، والشباب في هذه السن الباكرة يكونون أصلح للتربية والتوجيه، وأسمع للنصح والترشيد. فإذا وجدوا من يأخذ بأيديهم اتبعوه، وعملوا بأمره.

> **فترة الشباب هي فترة التأثير والتأثر والعطاء والبذل والبناء والتعمير ودفع العدو المغير، وفيها التوجيه والترشيد والتبصير**

من هنا كان السر في إقبالنا على الشباب، وعنايتنا به ورعايتنا له حتى يمضي إلى غايته الكبرى وهدفه الأسمى مصونًا من الانحراف الفكري والتدهور الخلقي والضعف العقلي. أما إذا تركناه هملاً بلا رعاية، وسدى بلا ولاية فلسوف يتضعضع كيانه ويضمر بذله وعطاؤه، ويستشري خطره وفساده فيصبح نقمة بعد أن كان نعمة، ومحنة بعد أن كان منحة، وبلاء بعد أن كان نفحة وعطاءً.

إن شبابنا اليوم يواجه هجمة استعمارية فكرية شرسة تحاول زعزعة إيمانه وزحزحة أقدامه، وهدم كيانه، فلا بد من تسليحه بالسلاح الذي يصيب مقاتلها.

إن أعداءنا لما عجزوا من غزونا عسكريا لجأوا إلى غزونا فكريًا. وبتعبئة الأمة وتجنيد طاقاتها وإعداد شبابها سيؤول أمر الغزو الفكري مآل الغزو العسكري: هزيمة نكراء وفشلا ذريعًا لأعدائنا.

إذا شيدوا للشباب المراقص شيدنا له المساجد، وإن أقاموا له الحفلات الغنائية أقمنا له الكتائب الليلية، ليكونوا رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار، لينشدوا أراجيز الحرب والقوة بدل التغني بفنون اللذة....ليحرصوا على الموت أكثر من حرصهم على الحياة وحبهم لها.. ليقتلوا أعداءهم بدل

قتلهم أوقاتهم.. وهكذا نواجه مكر أعدائنا بمكر أدهى، وهجماتهم بدفاع أعتى حماية لشبابنا، وصونا لعقيدتهم.

صيانة الإسلام للشباب من الانحراف والسقوط

عناية إيمانية وسلوكية

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» [سنن أبي داود ١/ ١٣٣، وصححه الألباني]

قوله صلى الله عليه وسلم:"مُرُوا أَوْلَادَكُمْ): يَشْمَلُ الذُّكُورَ وَالْإِنَاثَ (بِالصَّلَاةِ) وَرُبَّمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الشُّرُوطِ (وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ): لِيَعْتَادُوا وَيَسْتَأْنِسُوا بِهَا، وَالْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ (وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا): أَيْ: عَلَى تَرْكِ الصَّلَاةِ (وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ): لِأَنَّهُمْ بَلَغُوا، أَوْ قَارَبُوا الْبُلُوغَ (وَفَرِّقُوا): أَمْرٌ مِنَ التَّفْرِيقِ (بَيْنَهُمْ): أَيْ: بَيْنَ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ عَلَى مَا هُوَ الظَّاهِرُ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا قَالَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، وَيَجُوزُ لِلرَّجُلَيْنِ أَوِ الْمَرْأَتَيْنِ أَنْ يَنَامَا فِي مَضْجَعٍ وَاحِدٍ ؛ بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ عَوْرَتُهُمَا مَسْتُورَةً بِحَيْثُ يَأْمَنَانِ التَّمَاسَ الْمُحَرَّمَ. وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: بِهَذَا الْحَدِيثِ أَخَذَ أَئِمَّتُنَا فَقَالُوا: يَجِبُ أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَ الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ فَلَا يَجُوزُ حِينَئِذٍ تَمْكِينُ ابْنَيْنِ مِنَ الِاجْتِمَاعِ فِي مَضْجَعٍ وَاحِدٍ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَهُ: فَلَا يَجُوزُ إِلَخْ، مِنْ كَلَامِهِ، وَهُوَ غَيْرُ مَفْهُومٍ مِنْ كَلَامِ أَئِمَّتِهِ فَتَأَمَّلْ. (فِي الْمَضَاجِعِ): أَيِ: الْمَرَاقِدِ. وَقَالَ الطِّيبِيُّ: لِأَنَّ بُلُوغَ الْعَشْرِ مَظِنَّةُ الشَّهْوَةِ، وَإِنْ كُنَّ أَخَوَاتٍ، وَإِنَّمَا جَمَعَ الْأَمْرَيْنِ فِي الصَّلَاةِ وَالْفَرْقِ بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ فِي الطُّفُولِيَّةِ تَأْدِيبًا وَمُحَافَظَةً لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ أَصْلُ الْعِبَادَاتِ، وَتَعْلِيمًا لَهُمُ الْمُعَاشَرَةَ بَيْنَ الْخَلْقِ، وَأَنْ لَا يَقِفُوا مَوَاقِفَ التُّهَمِ فَيَجْتَنِبُوا مَحَارِمَ اللَّهِ تَعَالَى كُلَّهَا. [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٢/ ٥١٢] "

وهم أبناء " في موضعين وقع حالاً.وقوله: " وفرقوا بينهم في المضاجع " أي: في المراقد؛ وذلك لأنهم إذا بلغوا إلى عشر سنين يقربون من أدنى حد البلوغ، وينتشر عليهم آلاتهم، فيخاف عليهم من الفساد. [شرح أبي داود للعيني ٢/ ٤١٦]

رعايتهم في العلم والصحبة والرحمة والشفقة

عن أبي سليمان مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما رفيقا فظن أنا قد اشتقنا أهلنا فسألنا عمن تركنا من أهلنا فأخبرناه فقال: ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم، وصلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم". متفق عليه. زاد البخاري في رواية له: وصلوا كما رأيتموني أصلي.

> **ينبغي للإنسان أن يكون مرهف الإحساس والشعور، لا ينسى غيره إذا تمت له الأمور ،فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيماً بالشباب مستقرئاً أحوالهم، مراعياً تطلعاتهم**

فهذا مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون ، وهذا في عام الوفود في السنة التاسعة من الهجرة، وكانوا شبابًا، فأقاموا عند النبي صلى الله عليه وسلم عشرين ليلة جاءوا من أجل أن يتفقهوا في دين الله... ، وهذا الحديث فيه فوائد منها:

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مشهورا بالرحمة والرفق فكان أرحم الناس بالناس وكان أرفق الناس بالناس عليه الصلاة والسلام رحيما رفيقا، حتى إن الجارية من أهل المدينة البنت الصغيرة كانت تمسك بيده ليذهب معها ليقضي حاجتها، وحتى العجوز، كذلك فكان عليه الصلاة والسلام أرحم الناس بالناس وأرفق الناس بالناس.

ومنها: أن الإنسان ينبغي له أن يكون شعوره شعور الآخرين ، لا يكون أنانيا إذا تمت له الأمور نسى من سواه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مقيمًا في أهله مستريح البال مطمئن القلب مرتاح النفس لكن هؤلاء الناس

الشببة الذين جاءوا يتعلمون الدين كانت الفطرة والعادة والطبيعة أن الإنسان يشتاق إلى أهله، فلما رأى أنهم اشتاقوا إلى أهلهم وسألهم من خلفوا وراءهم وأخبروه أمرهم أن يرجعوا إلى أهليهم، فينبغي لك أن تشعر بشعور الآخرين وأن تجعل نفسك مكانهم حتى تعاملهم بما تحب أن تعامل به نفسك.

ومنها: أنه ينبغي للإنسان أن يقيم في أهله ما أمكنه، ولا يتغرب عنهم ولا أن يبتعد عنهم، حتى إن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر المسافر إذا سافر وقضى حاجته أن يرجع إلى أهله؛ لأن بقاء الإنسان في أهله فيه خير كثير، فيه الألفة والمودة والمحبة والتربية ومراعاة أحوالهم والتأديب والتوجيه لهم، فلهذا كان الذي ينبغي للإنسان ألا يفارق أهله إلا عند الحاجة ومتى انتهت حاجته رجع إليهم.

ومن فوائد الحديث: أن الإنسان مأمور بأن يعلّم أهله، ولهذا قال: ارجعوا إلى أهليكم وعلموهم يعلمونهم ما تعلموه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالإنسان ينبغي له أن يعلّم أهله ما يحتاجون إليه، إما أن يجعل جلسة خاصة لهم أو إذا جلسوا على الطعام أو على الشراب أو في انتظار النوم أو ما أشبه ذلك يعلمهم.

ومن فوائد الحديث أيضًا أن الإنسان لا يقتصر على التعليم فقط، قال: علموهم ومروهم فيعلمهم ويأمرهم ، وأهم ما يأمر به: الصلاة وقد نص الرسول عليه الصلاة السلام عليها فقال: مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر فلابد من تعليم الأهل ولابد من أمرهم وتأديبهم وتوجيههم ومن فوائد الحديث: وجوب الأذان وأنه فرض كفاية، لقوله: إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم. [شرح رياض الصالحين ٤/ ١٤٨]

الرعاية النفسية وتعليم الشجاعة الأدبية

عَن أم خَالد بنت خَالد بن سعيد قَالَت: أتيت رَسُول الله - صلى الله عليه وسلم - مَعَ أبي وَعلي قَمِيص أصفر قَالَ رَسُول الله - صلى الله عليه وسلم -:" سنة سنة". وَهِي بالحبشية ؛ حَسَنَة، قَالَت: فَذَهَبت أَلعَب بِخَاتم النُّبُوَّة فزبرني أبي (أي زجرني)، قَالَ رَسُول الله - صلى الله عليه وسلم -:" دعها". ثمَّ قَالَ رَسُول الله - صلى الله عليه وسلم -:" أبلي وأخلقي ثمَّ أبلي وأخلقي ثمَّ أبلي وأخلقي" [أبو داود وصححه الألباني]. قَالَ عبد الله -الراوي- فَبَقيت حَتَّى ذُكر من بَقَائِهَا).

وَأم خَالد بنت خَالد بن سعيد بن الْعَاص بن أُميَّة بن عبد شمس وَهِي مَشْهُورَة بكنيتها وَاسْمهَا أمة وَأمّهَا أُمَيْمَة.. وخَالد بن سعيد الْمَذْكُور أسلم قَدِيما يُقَال أَنه أسلم بعد أبي بكر رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ فَكَانَ ثَالِثا أَو رَابِعا وَقيل خَامِسًا، هَاجر إِلَى أَرض الْحَبَشَة مَعَ امْرَأَته الْخُزَاعِيَّة وَوُلِد لَهُ بهَا ابْنه سعيد بن خَالِد وَابْنَته أم خَالِد هذه التي جاءت تعبث على عادة صغار الصبيان بخاتم النُّبُوَّة وَهو نتوء بارز مثل زر الحجلة (بَيضة الطائر) بَين كَتفي رَسُول الله - صلى الله عليه وسلم- تقول: " فزبرني " أَي نهرني، من الزبر وَهُوَ الزّجر وَالْمَنْع، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:" دعها، وقال لها: أبلي وأخلقي".. يعني: البسي حتى يبلى ويَخْلق، فَبَقِي الثَّوْب حَتَّى ذكر أَي الْقَمِيص أَي حَتَّى صَار مَذْكُورا بَين النَّاس لخُرُوج بَقَائِهِ عَن الْعَادة... وعاشت أم خَالد عَيْشًا طويلا حَتَّى تغير لون قميصها إِلَى الاسوداد والدكنة.. وَفِيه معْجِزَة النَّبِي - صلى الله عليه وسلم - وَفِيه جَوَاز ملاعبة الرجل الصَّغِيرَة الَّتِي لَا يُشتهى مثلها وممازحتها، وَإِن لم تكن مِنْهُ بِذَات محرم، وَكَانَ مزح النَّبِي - صلى الله عليه وسلم - حَقًا، فَمن ذَلِك يجوز المزح إذا كَانَ حَقًا، وَأما إذا كَانَ بِغَيْر حق فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى الْفَاحِشَة فَلَا يجوز، وَفِيه تواضع النَّبِي - صلى الله عليه وسلم - وحِلمه، حَيْثُ لم ينْهر أم خَالِد عَن اللّعب بِخَاتم النُّبُوَّة. [عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٢/ ٩٨] بتصرف.

الرعاية بالمواساة وتعليم الرجولة والاعتماد على النفس

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَتَى آلَ جَعْفَرٍ بَعْدَ ثَلَاثٍ؛ يَعْنِي مِنْ مَوْتِ جَعْفَرٍ فَقَالَ:" لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ، ادْعُوا لِي بَنِي أَخِي". قَالَ: فَجِيءَ بِأُغَيْلِمَة كَأَنَّهُمْ أَفْرُخٌ مُحَمَّدٌ وَعَوْنٌ وَعَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ:" ادْعُوا لِيَ الْحَلَّاقَ". قَالَ: فَجَاءَ الْحَلَّاقُ فَحَلَقَ رؤوسهم ثم أَخَذَ بِيَدِ عَبْدِ اللَّهِ فَأَشَالَهَا، فَقَالَ:" اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ". فَجَاءَتْ أُمُّهُمْ فقال:" تَخَافِينَ عَلَيْهِمُ الْعَيْلَةَ (الفقر) وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟" [أحمد ح١٦٩٥وصححه الألباني].

وللحديث بقية، والله ولي التوفيق.

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة تهديد الحجاج بن يوسف للصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه

الحلقة (١٤٦)

إعداد / علي حشيش



نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت على ألسنة القصاص والوعاظ، واغتر الكثيرون بها لوجودها في كتب السنة الأصلية، وإن تعجب فعجب أن كثيرًا ممن يستمع إلى هؤلاء القصاص اتخذوا من هذه القصة الواهية أذكارًا لتكون لهم حرزًا مانعًا إذا خافوا سلطانًا أو شيطانًا أو سبعًا فيصيبهم اليأس عندما لا يجدون فائدة ولا يشعرون أن القصة واهية، وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة.

أولاً: المتن:

رُوِيَ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَال: كتب عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف أن انظر إلى أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأدنِ مجلسه وأحسن جائزته وأكرمه، قال: فأتيته فقال لي ذات يوم: يا أبا حمزة، إني أريد أن أعرض عليك خَيْلي فتعلمني أين هي من الخيل التي كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فعرضها فقلت: «شتان ما بينهما؛ فإنها كانت أرواثها، وأبوالها، وأعلافها أجرًا».

فقال الحجاج: لولا كتاب أمير المؤمنين فيك لضربت الذي فيه عيناك.

فقلت: ما تقدر على ذلك.

قال: ولِمَ؟

قلت: لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم علمني دعاء أقوله لا أخاف معه من شيطان، ولا سلطان، ولا سبع.

قال: يا أبا حمزة علمه لابن أخيك محمد بن الحجاج، فأبيت عليه، فقال لابنه: ائت عمك أنسًا فاسأله أن يعلمك ذلك.

قال أبان: فلما حضرته الوفاة دعاني فقال لي: يا حمزة إن لك إليّ انقطاعًا وقد وجبت حرمتك وإني معلمك الدعاء الذي علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعلمه من لا يخاف الله عز وجل أو نحو ذلك. قال يقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، بسم الله على نفسي وديني، بسم الله على كل شيء أعطاني ربي، بسم الله خير الأسماء، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه داء، بسم الله افتتحت، وعلى الله توكلت، الله الله ربي لا أشرك به أحدًا، أسألك اللهم بخيرك من خيرك الذي لا يعطيه أحد غيرك عز جارك، وجل ثناؤك، ولا إله غيرك، اجعلني في عياذك، من كل شر، ومن الشيطان الرجيم.

اللهم إني أحترس بك من شر جميع كل ذي شر خلقته، وأحترز بك منهم، وأقدم بين يدي بسم الله الرحمن الرحيم: «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ»

ومن خلفي مثل ذلك، وعن يميني مثل ذلك، وعن يساري مثل ذلك، ومن فوقي مثل ذلك. اهـ.

ثانيا: التخريج

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري المعروف بابن السني في كتابه «عمل اليوم والليلة» (ح٣٤٥) قال: أخبرني محمد بن أحمد بن عثمان، حدثنا إبراهيم بن نصر، حدثنا الحسن بن بشر بن سلم حدثنا أبي عن أبان بن أبي عياش عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كتب عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف أن انظر إلى مالك بن أنس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم...» القصة.

ثالثا: التحقيق

هذا الخبر الباطل علته أبان بن أبي عياش.

١- قال الإمام النسائي في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (٢١): «أبان بن أبي عياش: متروك الحديث، وهو أبان بن فيروز أبو إسماعيل».

قلت: وهذا المصطلح: «متروك الحديث» له معناه عند الإمام النسائي، ولقد بيّن ذلك الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» ص(٧٣) فقال: «مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

٢- قال الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٠٨٧/٢٩٥/٢): «سمعت أبي يقول: أبان بن أبي عياش متروك الحديث».

ثم قال: «سُئل أبو زرعة عن أبان بن أبي عياش فقال: بصري تُرك حديثه».

٣- قال الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢٢/٣٨/١): «حدثنا أحمد بن صدقة، قال: حدثنا محمد بن حرب الواسطي قال: سمعت يزيد بن هارون يقول: قال شعبة: ردائي وحماري في المساكين صدقة إن لم يكن أبان بن أبي عياش يكذب في الحديث». اهـ.

قلت: وأورد الإمام الذهبي في «الميزان» (١١/١) قول الإمام شعبة وأقره.

٤- وقال الإمام الذهبي في «الميزان» (١٠٥/١٠/١): «قال شعيب بن حرب: سمعت شعبة يقول: لأن أشرب من بول حمار حتى أَرْوَى أحب إليَّ من أن أقول: حدثنا أبان بن أبي عياش». اهـ.

٥- وأخرج هذا القول ابن عدي في «الكامل» (٣٨١/١) (٢٠٣/٢٠٣) وأقره.

٦- وأخرج ابن عدي في «الكامل» قال: حدثنا ابن حماد، حدثنا عبد الله بن أحمد، سمعت أبي يقول: أبان بن أبي عياش متروك الحديث. اهـ.

٧- وأخرج ابن عدي في «الكامل» (٣٨٢/١): حدثنا ابن أبي عصمة حدثنا أبو طالب أحمد بن حميد، سمعت أحمد بن حنبل يقول: «لا يُكتب عن أبان بن أبي عياش. قلت: أبان كان له هوى؟ قال: كان منكَر الحديث». اهـ.

٨- ثم نقل ابن عدي في «الكامل» (٣٨٣/١) عن السعدي أنه قال: «أبان بن أبي عياش ساقط».

٩- ثم أخرج الإمام ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٣٨٣/١): حدثنا من مناكير أبان بن أبي عياش، ثم تعقبه بما يستبين منه أن علماء هذه الصنعة لم يقفوا مقتصرين على الإسناد كما رماهم بذلك أصحاب الفهم السقيم المستشرقون الذين لم يدرسوا مناهج المحدثين لأئمة الجرح والتعديل المتقدمين كالإمام أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (٢٧٧-٣٦٥هـ) صاحب كتاب «الكامل في ضعفاء الرجال» ومنهجه يدور حول محاور نذكّر بأهمها:

الأولى: يذكر اسم الراوي واسم أبيه وجدِّه، ومنتهى نسبته ونسبه وكنيته ولقبه مع ضبط ما يشكل من ذلك بالحروف.

الثاني: يخرج أقوال أئمة الجرح والتعديل بسنده منه حتى يصل إليهم، خاصة أقوال أوائلهم مثل الإمام شعبة كما هو مبين آنفًا في التحقيق برقم (٥)، ورقم (٦).

والإمام شعبة لا يعرف قدره إلا أهل هذه الصنعة كالحافظ ابن حجر؛ حيث قال عنه في «التقريب» (٣٥١/١): «شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم أبو بسطام الواسطي ثم البصري، ثقة حافظ متقن كان الثوري يقول: هو أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول من فتَّش بالعراق عن الرجال، وذبَّ عن السُّنة، وكان عابدًا، مات سنة ستين ومائة، روى له الجماعة». اهـ.

قلت: فانظر قول هذا الإمام في أبان بن أبي عياش والذي أخرجه الإمام ابن عدي. بل وانظر قول الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) والذي أخرجه أيضًا الإمام ابن عدي في «الكامل» كما بينا آنفًا في التحقيق رقم (٧).

المحور الثاني: تخريج الأحاديث التي يستبين منها مناكيره، وهذا رد على المستشرقين الذين يزعمون أن الجرح والتعديل اقتصر على السند دون المتن.

المحور الثالث: التعقيب عن الأحاديث المخرجة بما يستبين منه نكارة المتون: وعلى سبيل المثال لا الحصر ما أخرجه الإمام ابن عدي في «الكامل» (٣٨٣/١) قال: حدثنا أحمد بن حفص السعدي، حدثنا العباس بن الوليد النرسي، حدثنا يحيى بن سليم الطائفي، عن الأزور بن غالب، عن سليمان التيمي، عن أنس أنه قال: «القرآن كلام الله وليس كلام الله مخلوق».

قلت: يتبين أن الإمام الحافظ ابن عدي أخرج الحديث بسنده، ولم يكتفِ بذلك، بل عقَّب على المتن بما يبين نكارته وبطلانه، فقال: «وهذا الحديث وإن كان موقوفًا على أنس، فهو منكر؛ لأنه لا يُعرف للصحابة الخوض في القرآن». اهـ.

قلت: هذا أكبر دليل في الرد على فرية المستشرقين ومن سلك طريقهم واتبعوا أهواؤهم، وهذا دليل أيضا على عدم درايتهم بمناهج المحدثين في الجرح

والتعديل «مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ» [الزخرف: ٢٠].

المحور الرابع: من محاور مناهج المحدثين في الجرح والتعديل عند الإمام الحافظ ابن عدي فبعد أن بين المحاور الثلاثة في أكثر من مائة وخمسين سطرًا؛ تطبيقًا على أبان بن أبي عياش يختم منهجه في ترجمة الراوي بالمحور الرابع بالحكم على الراوي والمروي، فقال: «وأبان بن أبي عياش له روايات غير ما ذكرت، وعامة ما يرويه لا يُتابع عليه، وهو بيّن الأمر في الضعف». اهـ.

قلت: إن بيان منهج المحدثين في الجرح والتعديل يحسبه من لا دراية له بهذه الصنعة أنه أمر هين، ولكنه عظيم؛ خاصة في هذه الأيام التي امتدت فيها خناجر هؤلاء الطاعنين المسمومة للطعن في صحيح الإمام البخاري أستاذ الأستاذين وأمير المؤمنين في الحديث، وطبيب الحديث وعلله.

١٠- قال ابن طهمان في «سؤالاته للإمام يحيى بن معين» (٣٣): «سمعت يحيى سُئل عن سَلم، وأبان بن أبي عياش، ويزيد الرقاشي فقال: ليسوا بشيء».

١١- ولقد اهتم أئمة الجرح والتعديل بدراسة المتون بأبحاث بالغة الدقة، ولكن صاحب الفهم السقيم من الطاعنين بالباطل يتبين ذلك من دراسة العلل حول أحاديث أبان بن أبي عياش، والتي يُبينها الإمام الحافظ ابن حبان في كتابه «المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين» (١/ ٩٦) حيث جمع مروياته، فقال: «أبان بن أبي عياش سمع عن أنس بن مالك أحاديث، وجالسَ الحسن فكان يسمع كلامه، ويحفظ، فإذا حدّث ربما جعل كلام الحسن عن أنس مرفوعًا وهو لا يعلم، ولعله روى عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من ألف وخمسمائة حديث ما لكبير شيء منها أصل يُرجع إليه».

قلت: وهذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة بما فيها من دعاء منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم هي من رواية أبان بن أبي عياش عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم، فهي من الأكثر من ألف وخمسمائة حديث ما لكبير شيء منها أصل يُرجع إليه.

رابعًا: بدائل صحيحة

هناك بدائل صحيحة لمن ابتلي بالخوف تُغني عن هذه القصة الواهية بما جاء فيها من دعاء لدفع الخوف.

فقد أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٤٥٦٣) كتاب «تفسير القرآن» باب: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ» [آل عمران: ١٧٣]، قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ أُرَاهُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَنْ أَبِي حَصِينٍ عَنْ أَبِي الضُّحَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قال: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ».

قلت: فتحقيق النصر بهذا الدعاء كما هو مبين من قوله تعالى: «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» [آل عمران: ١٧٣- ١٧٤].

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

من فقه إدارة الدعوة

ركائز الربانية

إعداد/ د. محمد يسري

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فإن الربانية هي خصيصة الدعوة الكبرى، وقاعدتها العظمى، ولطيفتها السارية في جميع معالمها، وعينها الجارية في كل أعمالها، وروحها التي تحمل الناس على قبولها.

ذلك أن الدعوة هي دعوة الله، قال تعالى: «لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ» [الرعد: ١٤].

وهي دعوة إلى الله، قال تعالى: «وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ» [الحج:٦٧]، وقال عز وجل: «قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ» [يوسف: ١٠٨].

فالدعوة في موضوعها ومنهجها ودستورها من الله وعن الله، قال تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» [الحجر: ٩]، وقال سبحانه: «وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» [النجم:٣-٤].

ومنهج الربانية في الدعوة والداعية يعتمد على الركائز والمقومات الآتية:

أولاً: الإيمان الصحيح والتوحيد الخالص:

إن الإيمان والتوحيد هما أول حق الله على العبيد، والعقيدة الربانية هي أول ما يدعى إليه الناس لتحررهم من عبادة كل معبود من دون الله، ولتكون العبادة لله وحده بما شرع لا بما ابتُدِع.

وهذه العقيدة الربانية هي عقيدة شمولية تعتني بعبادات القلب والقالب، وباستقامة الظاهر وإخلاص الباطن.

فهي عقيدة تُحيي القلب بالإيمان بالله، وتشغل البدن بمرضاة الله، وتفتدي بالأرواح دين الله، قال تعالى: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» [الأنعام:١٦٢، ١٦٣].

وهي عقيدة تربط بين أبنائها بوشيجة فريدة لأجلها هجر الأنبياء أوطانهم، وتركوا أرضهم وديارهم، وعاشوا غرباء مع أتباعهم. تلكم الوشيجة هي الحب في الله.

أبي الإسلامُ لا أبَ لي سواه
إذا افتخروا بقيس أو تميم

فليست العقيدة الربانية محل مساومة، ولا مراجعة، وإنما هو التحكيم مع التسليم، قال سبحانه وتعالى: «وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا» [الأحزاب: ٢٢].

ثانيًا: الاحتفاء بالفرائض والاحتفال بالنوافل:

أُسُّ الربانية عبادة رب البرية، وأحبها وأولاها وأوجبها فرائضها وحقوقها، ثم نوافلها وفضائلها، وفي الحديث القدسي: «وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترَضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يَبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطيَنّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه» (صحيح البخاري).

وهذه العقيدة الربانية تُورث عبادة ربانيّة تربط العبد بربه سبحانه وتعالى، وتزيد من مراقبته، وتجعله إلى طاعته مسارعًا ومسابقًا.

وفقه العبادة الربانية يعتمد على دعائم كثيرة، منها:

المسارعة والمسابقة:

قال سبحانه وتعالى: «وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ» [آل عمران: ١٣٣]، وقال سبحانه وتعالى: «سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ» [الحديد: ٢١].

وفي الحديث: «التُّؤدَة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة» (أبو داود ٤٨١٠).

فالرباني لسان حاله يقول: «وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ» [طه: ٨٤].

الدوام والاستمرار:

قال سبحانه وتعالى: «وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ» [الحجر: ٩٩]، وفي الحديث القدسي «وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه»(سبق تخريجه)، وفي الحديث: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»(متفق عليه).

فالرباني موصول بعبادة الله في الحضر والسفر، والصحة والمرض.

استدراك ما فات:

في الحديث: «من نامَ عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتِب له كأنما قرأه من الليل» (صحيح مسلم).

«وكان صلى الله عليه وسلم إذا نام من الليل أو مرض صلَّى من النهار ثِنْتَي عشرة ركعة»(صحيح مسلم)

رجاء القبول والخوف من الرد:

إن الرباني يبذل جهده ويستفرغ وسعه، ثم يرجو القبول ويخاف الرد، قال تعالى: «وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ» [المؤمنون: ٦٠]، وقد قال صلى الله عليه وسلم حين سألته عائشة رضي الله عنها عن هذه الآية فقالت: «أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق! ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدّقون، وهم يخافون أن لا يُقبَل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات»(الترمذي ٣١٧٥).

قال ابن أبي مليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه»(صحيح البخاري).

ذلك أن قبول العبادة بتحصيل التقوى غاية ليس من ورائها غاية، والتقوى سبب قبول العبادة، قال تعالى: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ» [المائدة: ٢٧].

ثالثًا: موافقة القول للعمل، والظاهر للباطن:

من أظهر معالم الربانية اتفاق الظاهر والباطن ومطابقة القول للعمل، إذ الربانية استقامة على أمر الله تعالى، قال تعالى: «فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ» [هود: ١١٢].

فالربانية انسجام تام بين الفعل والكلام، قال تعالى: «وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ» [هود: ٨٨].

والرباني يحذر دائمًا قول الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ» [الصف: ٢].

وقديمًا قيل: من لم ينفعك لحظه لم ينفعك وعظه!

والرباني القدوة يتحرز مما لا يتحرز منه غيره:
قال الأوزاعي: «كنا نضحك ونمزح فإذا صرنا يُقتدى بنا فلا أرى ذلك يسعنا»(تلبيس إبليس ص١٥٥).
والرباني القدوة ينتفع به موافقه ومخالفه على السواء:
قال الذهبي عن ابن تيمية -وكان موافقًا له-: «شيخ الإسلام، مفتي الفرق، قدوة الأمة» (الانتصار لابن عبد الهادي ص٧٢).
وقال ابن الزملكاني في حقه -وكان مخالفًا له-: «شيخ الإسلام، ومفتي الأنام، سيد العلماء، قدوة الأئمة الفضلاء» (السابق ص٧١).
وما ذاك إلا لأن مقاله ترجم عنه حاله، وحاله ظاهرة في مقاله.

رابعا: السمت الصالح والخلق الحسن:

إن من معالم الربانية رعاية الأخلاق النبوية، وتمثل الآداب المصطفوية، فهي فرع مباشر لأصل ظاهر، ألا وهو العبودية لرب البرية.
وقد قال تعالى لأحسن الدعاة خَلقًا وخُلقًا صلى الله عليه وسلم: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» [القلم: ٤].
وربانية الأخلاق والهدي من الدين بمكان لا ينكر، ففي الحديث: «إن الهديَ الصالحَ والسَّمْتَ الصالحَ والاقتصاد جزءٌ من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة»(أبو داود ٤٧٧٦).
والأخلاق الربانية أعم من أن تكون أخلاقًا فردية: كالحياء والتواضع،أو أخلاقًا جماعية: كالعدل والإحسان، أو أخلاقًا اجتماعية: كصلة الرحم، وبر الوالدين،أو أخلاقًا سياسية: كالنصيحة للأئمة، واستشارة أهل الحل والعقد، أو أخلاقًا اقتصادية: كالصدق في التعامل، واجتناب الإسراف والتقتير.
والأخلاق الربانية أعم من أن تكون بين المسلم والمسلم فهي تعمُّ الخلق جميعًا: قال تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» [النحل: ٩٠]، بل هي أوسع دائرة من البشر فهي تشمل الكائنات جميعًا، وفي الحديث: «إن الله كَتبَ الإحسان على كل شيء» (صحيح مسلم)، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله جميل يحب الجمال» (صحيح مسلم).
وعليه فإن الدعوة الربانية هي التي تقيم الحق وتحسن إلى الخلق، وهي التي تدعو إلى الجد ولا تمنع المباح من اللهو، وهي التي تحرص على الرحمة والرفق، وتنهى عن القسوة والعنف.

خامسا: التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الحبور:

إن الربانية هي زهد في الدنيا ومتاعها، ورغبة في الآخرة ونعيمها، قال تعالى: «يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ» [غافر: ٣٩]، وقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ» [فاطر: ٥].
إن الربانية تزودٌ من خير زاد، قال تعالى: «وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ» [البقرة: ١٩٧]، وقال سبحانه: «وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا» [الكهف: ٤٦]، وفي الحديث: «مالي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظل تحت شجرةٍ ثم راح وتركها» (الترمذي ٢٣٧٧).
إن الربانية هي جعل الهموم همًا واحدًا، وفي الحديث: «من جعل الهموم همًا واحدًا همَّ المعاد، كفاه الله هَمَّ دنياه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك» (ابن ماجه ٤١٠٦).
وخاتمة القول: إن الربانية تجمع في ثناياها خصائص الدعوة الراشدة التي ترعى الفطرية، وتحقق الوسطية، وتقيم التوازن، وتنشر الرحمة، وتعنى بالشمول، وتطمح نحو الكمال، وترتاد أفق العالمية، ولا تتخلى عن الواقعية.

وللحديث بقية إن شاء الله.

تدبر القرآن

الحلقة الثانية

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فقد تكلمنا في العدد السابق عن معنى التدبر بمعناه اللغوي والاصطلاحي، وكذلك أهمية تدبر القرآن، وفي هذا العدد نتكلم بعون الله تعالى عن:

أهم طرق تدبر القرآن الكريم:

لا تجد أي مؤمن يحقق الغاية الكبرى، من تلاوة كتاب الله عز وجل، وهي التدبر والتأمل، متفهمًا للمعاني، ناظرًا في المقاصد، إلا لامست شغاف قلبه، فينبض بالإيمان، ويخشع ويخضع للخالق سبحانه وتعالى، ويتأثر هذا القلب، ويكون له الأثر على الجوارح: فبصلاحه يصلح الجسد كله، وبفساده يفسد الجسد كله، كما جاء من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» [صحيح البخاري]. وبعد هذا العرض نذكر أهم الطرق الموصلة لهذه الغاية:

١ - استشعار عظمة القرآن الكريم:

فأعظم ما يستشعره المؤمن من فضل القرآن أنه كلام رب العالمين - مُنْزل - غير مخلوق، كلام من ليس كمثله شيءٌ، وصفة من ليس له شبيه ولا ندٌّ، وكتابُ إله العالمين، ووحي خالق السموات والأرضين، وهو هادي الضالين ومنقذ الهالكين، ودليل المتحيرين، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو السراج المنير، وهو الحق المبين، وهو الصراط المستقيم. (الرعاية لمكي بن أبي طالب (ص٥٥)].

والله تعالى أثنى على نفسه الشريفة لتفضله بإنزال الكتاب، وعلم عباده أيضا كيف يثنون عليه تعالى حمدًا وشكرًا على إنزاله، فقال: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا» [الكهف: ١].

أما لماذا تفضل عز وجل، ولماذا وجب الحمدُ؟ فهو ما يوضحه الشنقيطي رحمه الله بقوله: «علم الله جل وعلا عباده في أول هذه السورة الكريمة أن يحمدوه على أعظم نعمة أنعمها عليهم، وهي إنزاله على نبينا صلى الله عليه وسلم هذا القرآن العظيم، الذي لا اعوجاج فيه، بل هو في كمال الاستقامة، أخرجهم به من الظلمات إلى النور، وبيّن لهم فيه العقائد، والحلال والحرام، وأسباب دخول الجنة والنار وحذّرهم فيه من كل ما يضرهم، وحضهم فيه على كل ما ينفعهم، فهو النعمة العظمى على الخلق، ولذا علمهم ربهم كيف

يحمدونه على هذه النعمة الكبرى». [أضواء البيان للشنقيطي ٤/٣].

٢- تخصيصه بالخطاب القرآني:

ينبغي لتالي القرآن أن يعلم أنه هو مقصود بخطاب القرآن ووعيده، وأن القصص لم يرد بها السمر بل العبر، فليتنبه لذلك، فحينئذ يتلو تلاوة عبد كاتَبَه سيدُه بمقصود، وليتأمل الكتاب ويعمل بمقتضاه. [مختصر منهاج القاصدين ص٥٤].

قال ابن القيم: «أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمُّنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثًا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، ولعمر الله! إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك». [مدارج السالكين ١/٣٤٣].

فمن أراد الانتفاع فليجعل القرآن خطابًا موجهًا له، وليُقدِّر أنه المقصود كما قال الله تعالى: «وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ» [الأنعام: ١٩]. قال محمد بن كعب القرظي: «من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله عز وجل». [ابن أبي شيبة ٧/١٥٦].

٣- صدق النية والاستعانة بالله:

إن العبد إذا استمع إلى كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام بنية صادقة على ما يحب الله، أفهمه كما يحب وجعل له في قلبه نورًا. [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/١٦٠].

ومن صدق النية الاستعانة بالله، بأن يكون العبد «تاركًا للمعهود من علمه ومعقوله، متبرئًا من حوله وقوته، ومعظمًا للمتكلم، مفتقرًا إلى التفهم، بحال مستقيم وقلب سليم، وقوة علم، وتمكن سمع لفهم الخطاب وشهادة غيب الجواب، بدعاء وتضرع وابتئاس وتمسكن، وانتظار للفتح عليه من عند الفتاح العليم». [البرهان للزركشي ٢/١٨١].

ومن الاستعانة بالله على تدبر كتابه: أن يبدأ تلاوته بالاستعاذة بالله، كما قال الله تعالى: « فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ » [النحل: ٩٨]، وهي «الالتجاء إليه والاستجارة بجنابه من الشيطان الرجيم». [تفسير ابن كثير ١/٢٥].

الشيطان لا يفتر عن الوسوسة، ويُشغل عن كل خير، «وإن أجل الأمور التي يلقي الشيطان وسوسته فيها قراءة القرآن؛ لأن من قرأ القرآن ونوى به عبادة الرحمن، وتفكر في وعده ووعيده وآياته وبيناته، ازدادت رغبته في الطاعات، ورهبته عن المحرمات، فلهذا السبب صارت قراءة القرآن من أعظم الطاعات، فلا جرم كان سعي الشيطان في الصد عنه أبلغ، وكان احتياج العبد إلى من يصونه عن شر الشيطان أشد، فلهذه الحكمة اختصت قراءة القرآن بالاستعاذة، فإنه لا يكفيه إلا الله. [التفسير الكبير للرازي ١/٩١].

وكذلك المحافظة على قراءة: «بسم الله الرحمن الرحيم» في أول كل سورة سوى «براءة» أي سورة التوبة، ومعنى البسملة: «أدخل في هذا الأمر: من قراءة أو دعاء، أو غير ذلك (بسم الله) لا بحولي ولا بقوتي، بل أفعل هذا الأمر مستعينًا بالله، متبركًا باسمه تبارك وتعالى، هذا في كل أمر تسمّي في أوله من أمر الدين، وأمر الدنيا، فإذا أحضرت في نفسك أن دخولك في القراءة بالله مستعينًا به متبرئًا من الحول والقوة، كان هذا أكبر الأسباب في حضور القلب وطرد الموانع من كل خير». [مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب].

٤- حضور القلب وقطع العلائق:

إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله، قال الله تعالى: «إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ » [ق: ٣٧]، وذلك أن تمام التأثر لما كان موقوفًا على مؤثر مقتض، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المراد، فقوله: «إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ » [ق: ٣٧] إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى هنا، وهذا هو المؤثر، وقوله: «لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ » [ق: ٣٧]، فهذا هو المحل القابل، والمراد به: القلب الحي الذي يعقل عن الله، كما قال تعالى: «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا» [يس: ٦٩، ٧٠] أي: حي القلب، وقوله: «أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ » [ق: ٣٧] أي: وجه سمعه، وأصغى حاسة سمعه إلى ما

يُقال له، وهذا شرط التأثر بالكلام، وقوله: «وَهُوَ شَهِيدٌ» أي: شاهد القلب، حاضر غير غائب.

قال ابن قتيبة: استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم، ليس بغافل ولا ساهٍ، وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يُقال له والنظر فيه وتأمله، فإذا حصل المؤثر وهو القرآن والمحل القابل وهو القلب الحي، ووجد الشرط وهو الإصغاء وانتفى المانع وهو غفلة القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر. [الفوائد لابن القيم ١/٣].

وقيل في تفسير قوله تعالى: «يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ» [مريم: ١٢] أي: بجد وحرص واجتهاد. [محاسن التأويل ٧/٨٨]. وأخذه بالجد أن يكون متجردًا له عند قراءته، منصرف الهمة إليه عن غيره، وهذه الصفة متولدة من التعظيم فإن المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه، ففي القرآن ما يستأنس به القلب. [إحياء علوم الدين للغزالي ١/٢٨١].

٥- القراءة بترتيل وترسل:

إن أهم المداخل للتدبر: أن تكون القراءة مرتلة صحيحة، وليست العبرة في التلاوة أن يقرأ القرآن مرات متعددة دون أن يصاحبها إدراك لما يقرأ، والترتيل والتدبر مع قلة مقدار القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها؛ لأن المقصود من القراءة الفهم والتدبر والعمل.

والإسراع في القراءة يدل على عدم الوقوف على المعنى بصورة كاملة، وبالشكل المطلوب، ومن أجل ذلك كانت القراءة بتمهل خطوة نحو التدبر، وقد ندَّد الله تعالى بصورة الاستفهام بمن لا يفتح عقله وقلبه لتفهم القرآن من أجل إدراك ما فيه من حكم وأسرار ومواعظ وتشريعات، فقال تعالى: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ» [محمد: ٢٤]. (دعوة إلى تدبر القرآن ص٤١].

وإن الذي يقرأ القرآن بلا فهم كالمذياع يرتل قرآنًا دون أن يفهم مما رتل شيئًا، وهو مخالف لهدف القرآن العظيم، فآيات كثيرة تشير إلى أن القرآن يُتلى لعلنا نتفكر، لعلنا نتدبر، لعلنا نعقل، لعلنا نبصر، كما قال تعالى: «كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ» [البقرة: ٢٤٢]، وقال تعالى: «كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ» [يونس: ٢٤]، وقال تعالى: «إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ» [يوسف: ٢]، أما الذي تسمع أذنه ولا يسمع عقله، أو تنظر عينه ولا يبصر قلبه، أو يتكلم لسانه ولا يعي فكره فهو أصم أبكم أعمى.

قال الله تعالى: «وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ» [يونس: ٤٣]. وفي الآية إشادة واضحة إلى أن سماع القرآن وتلاوته ليس هدفًا بذاته، بل هو وسيلة لهدف، فقد كان المشركون يستمعون إلى القرآن ثم ينصرفون لا يحرك فيهم ساكنًا تمامًا كما يفعل بعض المسلمين اليوم يستمعون إلى القرآن الكريم كل يوم من المذياع ثم ينصرفون لا يحرك فيهم ساكنًا، إذ يبقى المطفف مطففًا، ويبقى الكاذب كاذبًا، ويستمر المرابي في رباه، ويواصل الفاسق فسوقه، فلقد أصبح سماع القرآن عادة، ولقد ذم الله المشركين مع استماعهم للقرآن لأنهم لا يعقلون، ولأنهم لا يبصرون». [عظمة القرآن ص٥٩٥].

وفي قوله تعالى: «سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ» [الأعراف: ١٤٦]. قال سفيان بن عيينة: أنزعُ عنهم فهم القرآن]. [الإتقان في علوم القرآن ٢/٤٨٠].

٦- تكرار الآية وترجيعها:

«الترجيع: هو تقارب ضروب الحركات في القراءة، وأصله الترديد، وترجيع الصوت: ترديده في الحلق». إن الهدف من التكرار هو التوقف لاستحضار المعاني، وكلما كثر التكرار زادت المعاني التي تفهم من النص، والتكرار – أيضًا – قد يحصل تعظيمًا أو إعجابًا بما قرأ، فهو نتيجة وثمرة للفهم والتدبر، وهو وسيلة إليه حينما لا يوجد. [مفاتح تدبر القرآن لخالد اللاحم ٦٢].

قال ابن قدامة: «إن التدبر هو المقصود من القراءة، وإن لم يحصل التدبر إلا بترداد الآية، فليرددها». [مختصر منهاج القاصدين ص٥٣).

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.



من الآداب الإسلامية

آداب الأخوة والصحبة

الحلقة الثانية

إعداد / سعيد عامر

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ على محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعدُ:

فبفضل الله تعالى سبق الحديث في الحلقة الأولى عن مفهوم الأخوة ثم آداب الأخوة، وبينت الحق الأول وهو الحب في الله والبغض في الله، وفي هذا اللقاء نتكلم عن الحق الثاني وهو:

٢- سلامة الصدر وطهارة القلب:

المؤمن سليم الصدر، طاهر النفس، تقي القلب، لا يحمل لأخيه ذرة غل أو حقد أو حسد، وتلك من تزكية النفس، وهي غاية بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» [الجمعة: ٢]، وحقيقة هذه التزكية تكون بصلاح القلب وصلاح القلب يكون بتحقيق العبادات التي وردت في كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم من المحبة والخوف والرجاء والتوكل... إلخ.

وترك المحرمات التي نهى الله عز وجل عنها من: العجب والغرور، والكبر والرياء، والحقد والحسد، وإرادة الدنيا، وإرادة الفساد والشهوات.. وغيرها.

من آفات القلوب

فالإنسان مركب من جسد وروح ونفس، والجسد يدرك بالبصر، والنفس مدركة بالبصيرة، ولكل واحد منهما هيئة وصورة، إما قبيحة، وإما جميلة، فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرًا من الجسد المدرك بالبصر، قال الله تعالى: «إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» [الحجر: ٢٨ - ٢٩].

فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين، والروح إلى رب العالمين، وحسبك هذا دليلاً على شرف التزكية وفضل نقاء القلب.

قال الله تعالى: «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا» [الشمس: ٧- ١٠].

ولذلك فإن المؤمن التقي ينام على فراشه وهو يُشهد اللهَ في عليائه أنه لا يحمل ذرة غل أو حقد أو حسد لمسلم على وجه الأرض، ففي الحديث المتفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تباغضوا

ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا».

فمن كمال إسلام المسلم سلامة المسلمين من لسانه ويده، ومن الدوافع الداخلية المحركة للسان واليد كالحقد والحسد والبغضاء والظن السيئ، وتلك ميادين الشيطان الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم، والله عز وجل يقول: « إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا » [فاطر: ٦]، وحاربوه كما يحاربكم، وقاوموه كما يغرر بكم، قال سبحانه: « إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ » [المائدة: ٩١].

ولذا نهى رسولنا صلى الله عليه وسلم عن البغضاء والحقد والحسد... إلخ، لأن ذلك يؤدي إلى التقاطع والتدابر والهجر، ومن ثمَّ قال صلى الله عليه وسلم: «لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تنافسوا وكونوا عباد الله إخوانًا» أي كونوا كإخوان النسب في الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة النصيحة...

لأن الحقد والحسد.. من أخطر أمراض القلب، يرى الأخ أخاه في نعمة فيحقد عليه ويحسده، مع أن الذي وهب هو الله، والذي أعطى هو الله، إنها أرزاق قسمها الرزاق، فالذي يحسد إخوانه إنما هو في حقيقة الأمر معترض على الله جل جلاله.

فالحسد من خصال اليهود، أما أهل الإيمان أصحاب القلوب الطاهرة فيتضرعون إلى الله: « رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» [الحشر: ١٠]، ويرددون مع هؤلاء بصفاء وصدق عمل: « وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» [الحشر: ٩، ١٠].

فالمؤمن يحمل للجميع صدرًا سليمًا وقلبًا طاهرًا نقيًا، هذه أخلاقيات أهل الإيمان.

ولذلك نهى الإسلام عن كل ما يورث البغضاء بين المسلمين من النجش والبيع على البعض والخِطبة على خطبته، والتنافس والظن السيئ والتحسس والتجسس والأهواء المضللة الموجبة للتباغض.

روى الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إياكم والظنَّ، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا».

فحذر النبي صلى الله عليه وسلم من الظن السيئ بالآخرين، والظن مرحلة من مراحل حديث النفس، قال سفيان: الظن الذي يأثم به هو ما ظنه وتكلم به، فإن لم يتكلم به لم يأثم.

فالشيطان يدخل الهواجس في النفوس، فتظن بالآخرين شرًا، فكان النهي عن الظن «وإياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»؛ لأنه مبني على غير الواقع، فهو كذب، يستهين به صاحبه فيكون أكثر وقوعًا، وأكثر شرًا.

ثم إن الشيطان ينتقل بالظن إلى محاولة التأكد من المظنون فيدفع إلى التجسس والتحسس، فنهى الرسول صلى الله عليه وسلم عنهما، إن لم يتغلب على الشيطان من أول درجة، فليتغلب عليه عند الدرجة الثانية: «لا تحسسوا ولا تجسسوا».

ثم ينتقل الشيطان بالمتحسس والمتجسس إلى البغضاء والمقت والكراهية، فنهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن البغضاء والحقد والحسد، فإن انتقل الشيطان بالمتباغضين إلى التقاطع والتدابر والهجر، قيل لهم: «لا تدابروا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام».

هكذا يدخل الشيطان ليفسد قلب المسلم، ولذلك يجب محاربته؛ ليبقى المسلم سليم الصدر، طاهر النفس، نقي القلب، ليبقى المسلم مسلمًا كاملاً، ولتبقى الأخوة بينه وبين بني جنسه، ليكون الجميع عباد الله إخوانًا.

وللحديث بقية، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

مقتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه

إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فإن الفِرَق الضالة والجماعات المنحرفة لها أثر خَطير في بلاد المسلمين، حيث إنها تهدِّد الأمن والاستقرار، وتشكك الناس في عقيدتهم، وتعيث في الأرض فسادًا وخرابًا، وهذا يتضح كل الوضوح في فعل الخوارج الذين قتلوا عليًّا رضي الله عنه بعد أن كفَّروه؛ زاعمين بذلك أنهم يتقربون إلى الله بهذا الفعل، وأنهم يشرون أنفسهم بقتله ابتغاء مرضاة الله، وسبيلهم في ذلك طاعة الشيطان واتباع الهوى، ولذا زعموا خلاف ذلك، ولذا كان واجب الدعاة والعلماء التحذير منهم ومن عقائدهم الفاسدة وتبيين منهجهم الفاسد ومقارعة أهل البدع والمبتدعين. [دراسة تاريخ الخلفاء الأمويين ص٥٢].

ومما يبين حقد الخوارج على أهل السنة ما قاله عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي رضي الله عنه: «والله لقد اشتريته (يعني سيفه) بألف، وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جمع أهل المصر ما بقي منهم أحد. [تاريخ الطبري ٦/٦٢].

وتكمن خطورة فكر الخوارج في تأثيرهم على غيرهم، وخلق البيئة الفاسدة التي تقبل فكرهم ومعتقدهم، من ذلك فعل عبد الرحمن بن ملجم عند مقابلته لشبيب بن بجرة، قال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل علي بن أبي طالب، قال له: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئًا إدًّا، كيف تقدر على عليّ؟ قال: أكمن له في المسجد، فإذا خرج إلى الصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا، وأدركنا ثأرنا، وإن قُتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها. قال: ويحك، لو كان غير عليّ لكان أهون عليَّ، قد عرفت بلاءه في الإسلام وسابقته مع النبي صلى الله عليه وسلم، وما أجدني أنشرح لقتله، قال: أما تعلم أنه قتل عباد الله الصالحين (يقصد في النهروان)؟ قال: بلى، قال: فقتله بمن قتل من إخواننا، عند ذلك أجابه كما تذكر رواية الطبري (٦/٦٢).

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقتلون أهل الإيمان، ويدعون أهل الأوثان».

فانظر رحمك الله إلى تأثير ابن ملجم على ابن بجرة حتى آمن بقتل عليّ، ولذا فالخطورة تكمن في تأثير أولئك الخوارج على غيرهم بشبهاتهم التي قد تبدو حقًّا وهي عين الباطل، فعليّ قاتلهم بحق ولم يقاتلهم بباطل.

ولعلك تعجب أخي عندما تعلم أن ابن ملجم قاتل عليّ عند الخوارج من أفضل الأمة، يقول فيه عمران بن حطان الخارجي:

يا ضربةً من تقي ما أراد بها
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره حينًا فأحسبه
أوفى البرية عند الله ميزانا

ولا شك أن معركة النهروان تركت في نفوس الخوارج جرحًا غائرًا لم تزده الأيام إلا حسرة وألمًا [راجع علي بن أبي طالب للصلابي ص٥٦٩].

والإجماع بين أهل السِّيَر والمؤرخين على أن عملية قتل عليّ تمت على يد الخوارج انتقامًا لضحاياهم في معركة النهروان.

ولنترك محمد ابن الحنفية رضي الله عنه يروي لنا قصة مقتل علي رضي الله عنه: كنت والله

إني لأصلي تلك الليلة التي ضرب فيها علي في المسجد الأعظم في رجال كثير من أهل المصر، يصلون قريبًا من السدة، ما هم إلا قيام وركوع وسجود، وما يسأمون من أول الليل إلى آخره، إذ خرج عليّ لصلاة الغداة، فجعل ينادي: أيها الناس الصلاة الصلاة، فما أدري أخرج من السدة، فتكلم بهذه الكلمات أم لا، فنظرت إلى بريق، وسمعت: الحكم لله يا عليّ لا لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفًا، ثم رأيت ثانيًا، ثم سمعت عليًا يقول: لا يفوتنكم الرجل، وشد الناس عليه من كل جانب، قال: فلم أبرح حتى أُخذ ابن ملجم وأدخل على عليًّ، فدخلت فيمن دخل من الناس، فسمعت عليًا يقول: النفس بالنفس، أنا إن مت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي. [تاريخ الطبري ٦/٦١].

ثم ذكر أن الناس دخلوا على الحسن فزعين لما حدث من أمر عليّ، فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه، إذ نادته أم كلثوم بنت عليّ وهي تبكي: أي عدو الله، لا بأس على أبي، والله مخزيك، قال: فعلى من تبكين؟ والله لقد اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد.

وجُمع الأطباء لعلي رضي الله عنه، وعلموا أن الضربة قد وصلت إلى أم رأسه، فقالوا له: يا أمير المؤمنين اعهد عهدك فإنك ميت، ثم دخل عليه جندب بن عبد الله وسأله: يا أمير المؤمنين، إن فقدناك ولا نفقدك - أنبايع الحسن؟ قال علي رضي الله عنه: لا آمركم ولا أنهاكم، أنت أبصر. [تاريخ الطبري ٦/٦٢].

عند ذلك دعا علي رضي الله عنه الحسن والحسين فقال لهما: أُوصيكُمَا بتَقْوَى اللَّه، وَلا تَبْغِيَا الدُّنْيَا، وَإِنْ بَغَتْكُمَا، وَلا تَبْكِيَا عَلَى شَيْءٍ زُوِيَ عَنْكُمَا مِنْهَا. قُولا الْحَقَّ، وَارْحَمَا الْيَتِيمَ، وَأعينَا الصَّانِعَ وَاصْنَعَا للأَخْرَقِ، وَكُونَا للظَّالِم خَصْمًا وَلِلْمَظْلُوم عَوْنًا، وَلا تَأْخُذْكُمَا فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لائِمٍ "، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، فَقَالَ: " أَسمعتَ مَا وَصَّيْتهُمَا بِه؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَأُوصيكَ بِمثْله، وَبِتَزْيِين أَمْرِ أَخَوَيْكَ، وَلا تَقْطَعْ أَمْرًا دُونَهُمَا "، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: " وَأُوصيكُمَا به فَإِنَّهُ شَقِيقُكُمَا، وَابْنُ أَبِيكُمَا، وَقَدْ عَلِمْتُمَا أَنَّ أَبَاهُ كَانَ يُحِبُّهُ، فَأَحِبَّاهُ.

وقال للحسن: "أوصيك أي بني بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء؛ فإنه لا صلاة إلا بطهور، ولا تقبل صلاة من مانع زكاة، وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش".

ونهى عن المثلة بقاتله، حيث قال: «احبسوا الرجل فإن متُّ فاقتلوه، وإن أعش فالجروح قصاص، أطعموه واسقوه، وأحسنوا إساره، فإن صححت فأنا ولي دمي أعفو إن شئت، وإن شئت استقدت، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين.

وقال للحسن: اضربه ضربة لا تمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إياكم والمثلة، ولو أنها بالكلب العقور.

نقض الطبري الروايات التي منها أن عليًا رضي الله عنه أوصى بحرق قاتله، وقال: لا تصح وهي رواية منقطعة، بيد أن الصحيح أن آل بيت عليّ التزموا وصيته في معاملته بالحسنى؛ فانظر رحمك الله إلى عدل علي رضي الله عنه في معاملة قاتله.

وابن ملجم من أشقى الخلق في الآخرة عند الشيعة، وعند أهل السنة هو ممن يُرجى له النار، ويجوز أن يتجاوز الله عنه لا كما يقول الخوارج والشيعة فيه، فحكمه كحكم قاتل عثمان، والزبير وطلحة وعمار، وقاتل الحسين، وكل هؤلاء نبغضهم في الله ونكل أمرهم إليه سبحانه.

وإليك ما قاله الذهبي في ابن ملجم قاتل علي رضي الله عنه، قال رحمه الله: "إن قاتل علي رضي الله عنه خارجيٌّ مغتر، شهد فتح مصر، واختلط بها مع الأشراف، وكان ممن قرأ القرآن والفقه وكان من العباد، قرأ القرآن على معاذ بن جبل، رضي الله عنه.."، فاعتبر أخي في الله بسوء خاتمة ذلك الرجل.

اللهم أحسن خاتمتنا وتولَّ أمرنا، واهد شبابنا وأصلح جميع أحوالنا. والحمد لله رب العالمين.

وقفات شرعية مع تطبيق الشريعة الإسلامية

الرد على الشبهات المثارة على حد الرجم

الحلقة الحادية عشرة

إعداد/ المستشار/ أحمد السيد علي

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُعبَد، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تعبد، أما بعد: فلا يزال الحديث موصولاً عن وقفات شرعية مع تطبيق الشريعة الإسلامية، ولا يزال الرد على الشبهات المثارة حول حد الرجم. وقد فندنا معظمها في الحلقات السابقة، وظهر جليًا أنها أوهى من بيت العنكبوت، وأنها لم تصمد أمام الصحيح الصريح من المنقول أو المعقول، وهاكم الشبهة الثامنة عشرة والرد عليها:

قالوا: « والتناقض سمة أساسية من سمات الأحاديث ، فمثلا نجد أحاديث حجة الوداع تجعل عقوبة من تأتي الفاحشة من نساء المؤمنين الضرب وليس الرجم. (أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقًا، ولكم عليهنّ حقًا، ألاّ يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدًا تكرهونه بيتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة (مبينة)؛ فإن فعلن، فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن، وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربًا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم، فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وإنما النساء عندكم عوان، ولا يملكنّ لأنفسهن شيئًا، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله) رواه مسلم.

الرد على هذه الشبهة: أولاً:- أن الفاحشة المذكورة في الحديث تعم كل فاحشة من بذاءة اللسان، والتطاول على الأحماء، والزنا، فَلِمَ حصرتموها في الزنا فقط؟!

ثانيا:- وعلى فرض أن الفاحشة بمعنى الزنا فهل كل الزنا يقام فيه الحد؟! فإن الرجل إذا شاهد امرأته تزني فإن له أن يلاعنها، فإذا لاعنها فلا يقام الحد عليها، وربما لم يلاعنها وعضلها حتى تترك حقها ثم طلقها خشية الفضيحة، وقد لا يراها وتعترف له بالزنا فيعضلها ثم يطلقها، أو يضربها ويسامحها، أما إذا رفع أمر زناها إلى ولي الأمر واعترفت فلا مناص من تطبيق حد الرجم عليها، وهذا مصداقًا لقوله صلى الله عليه وسلم: « تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب « [رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني].

فالناس متفاوتون فيما بينهم؛ فمنهم من يغار على زوجته، وقد يقتلها إذا تناهى إلى سمعه ما يشينها، ومنهم من يراها تضحك مع الرجال أو تراقصهم، وربما رآها تزني، ولا يحرك ساكنًا، وفي هذا العصر وصل الحال ببعض أشباه الرجال أن تبادلوا الزوجات في حفلات خاصة بينهم!!!، ومن ثَم فقد يرفع الحد لولي الأمر وقد لا يُرفع لاعتبارات عدة؛ منها خشية الفضيحة، ومنها عفو الزوج عن زوجته، ومنها عدم اكتراث الزوج بما فعلته، ومنها ما هو كائن الآن في أكثر الدول الإسلامية، من هجر تطبيق الحدود، فإذا رُفع الحد لولي الأمر، فيجب تطبيقه إذا توافرت شروطه وانتفت موانعه، أما إذا لم يرفع فله أن يضربها أو يهجرها أو يعضلها ويطلقها.

ومن ثم فحديث حجة الوداع لم يجعل حد زنا المحصنة الضرب كما فهم هؤلاء الأدعياء، جاء في كتاب أبحاث هيئة كبار العلماء: « ثم ذكر ابن جرير رحمه الله أقوال أهل التأويل

في معنى الفاحشة: فذكر آثارا بأسانيدها إلى الحسن البصري وعطاء الخراساني والسدي: أن المقصود بالفاحشة: الزنا. وذكر آثارًا أخرى بأسانيدها إلى ابن عباس ومقسم، والضحاك بن مزاحم، وقتادة وعطاء بن أبي رباح، أن المقصود بالفاحشة النشوز، ثم قال: وأولى ما قيل في تأويل قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ (النساء ١٩) أنه معني به: كل فاحشة، من بذاء باللسان على زوجها، وأذى له، وزنا بفرجها، وذلك أن الله جل ثناؤه عم بقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ كل فاحشة متبينة ظاهرة، فكل زوج امرأة أتت بفاحشة من الفواحش التي هي زنا أو نشوز فله عضلها على ما بيّن الله في كتابه، والتضييق عليها حتى تفتدي منه بأي معاني الفواحش أتت، بعد أن تكون ظاهرة مبينة بظاهر كتاب الله تبارك وتعالى وصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كالذي صح عن جابر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، إن لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف» (رواه البخاري).

عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أيها الناس، إن النساء عندكم عوان، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن حق، ولهن عليكم حق، ومن حقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا، ولا يعصينكم في المعروف، وإذا فعلن ذلك فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف». فأخبر صلى الله عليه وسلم: أن من حق الزوج على المرأة أن لا توطئ فراشه أحدًا، وأن لا تعصيه في معروف، وأن الذي يجب لها من الرزق والكسوة عليه إنما هو واجب عليه إذا أدت هي إليه ما يجب عليها من الحق، بتركها إيطاء فراشه غيره، وتركها معصيته في معروف.

ومعلوم: أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من حقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا» (رواه مسلم) إنما هو أن لا يُمَكِّنَّ من أنفسهن أحدًا سواكم.

فبين أن لزوج المرأة إذا أوطأت امرأتُه نفسَها غيره، وأمكنت من جماعها سواه، أن له منعها الكسوة والرزق بالمعروف، مثل الذي له من منعها ذلك إذا هي عصته في المعروف، وإذا كان ذلك له، فمعلوم أنه غير مانع لها حقًا لها واجبًا عليه، وإذا كان ذلك كذلك، فبين أنها إذا افتدت نفسها عند ذلك من زوجها، فأخذ منها زوجها ما أعطته، أنه لم يأخذ ذلك عن عضل منهي عنه، بل هو أخذ ما أخذ منها عن عضل له مباح، وإذا كان ذلك كذلك، كان بينا أنه داخل في استثناء الله تبارك وتعالى الذي استثناه من العاضلين بقوله: ﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ (النساء ١٩).

وإذا صح ذلك تبين فساد قول من قال عن قول الله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ (النساء ١٩) منسوخ بالحدود ؛ لأن الحد حق الله جل ثناؤه على من أتى بفاحشة التي هي الزنا، وأما العضل لتفتدي المرأة من الزوج بما آتاها أو ببعضه، فحق لزوجها كما أن عضله إياها وتضييقه عليها إذا هي نشزت عليه لتفتدي منه، حق له، وليس حكم أحدهما يبطل حكم الآخر.

قال أبو جعفر: فمعنى الآية: لا يحل لكم، أيها الذين آمنوا، أن تعضلوا نساءكم فتضيقوا عليهن وتمنعوهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ﴿لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ (النساء ١٩) من صدقاتكم ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ﴾ (النساء ١٩) من زنا أو بذاء عليكم، وخلاف لكم فيما يجب عليهن لكم -مبينة ظاهرة، فيحل لكم حينئذ عضلهن والتضييق عليهن، لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صداق إن هن افتدين منكم به». اهـ.

الشبهة التاسعة عشر:

قالوا: التناقض في أحاديث الرجم على

نوعين: تناقض في التفصيلات الخاصة بالرواية الواحدة، وتناقض بين الروايات المختلفة. ومن هذا النوع الأخير حديث رواه البخاري عن رجل اعترف للنبي صلى الله عليه وسلم بالزنا، فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن حضرت الصلاة فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قام الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم ثانيًا يعترف له ويطلب إقامة الحد عليه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أليس صليت معنا»؟ قال: نعم، قال: فإن الله غفر لك ذنبك) أي إن الصلاة تغفر الذنب وتمحو عقوبة الرجم، وهذا ما يتناقض مع الأحاديث الأخرى التي تنضح بدماء الضحايا من المرجومين حسب زعمهم.

الرد على هذه الشبهة:

أن هؤلاء قد دلسوا على الناس حينما ذكروا الحديث على غير روايته الصحيحة، فقد روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له. قال فنزلت: « وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ » [هود / ١١٤]. قال فقال الرجل: ألي هذه يا رسول الله؟! قال: « لمن عمل بها من أمتي». وفي رواية: أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم. فذكر أنه أصاب من امرأة، إما قبلة، أو مسًا بيد، أو شيئًا. كأنه يسأل عن كفارتها. قال فأنزل الله عز وجل.. ثم ذكر بمثل حديث يزيد. وفي رواية أخرى لمسلم: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إني عالجت امرأة في أقصى المدينة. وإني أصبت منها ما دون أن أمسها. فأنا هذا. فاقض في ما شئت. فقال له عمر: لقد سترك الله، لو سترت نفسك. قال: فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا. فقام الرجل فانطلق. فأتبعه النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً دعاه، وتلا عليه هذه الآية: « وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ » [هود / ١١٤]. فقال رجل من القوم: يا نبي الله! هذا له خاصة؟ قال: « بل للناس كافة». وفي رواية: يا رسول الله! هذا لهذا خاصة، أو لنا عامة؟ قال: « بل لكم عامة »، وفي كل روايات الحديث لم يذكر أن الرجل زنى بالمرأة الزنى الموجب للحد، وإنما قبَّلها ولمسها، وهي أمور توجب التعزير وليس إقامة الحد، فما كان من هؤلاء المدلسين إلا أن حرّفوا الكلم عن مواضعه خدمةً لمذهبهم الفاسد، فجعلوا الصلاة ماحية لعقوبة الرجم، فخاب سعيهم وكشف الله كذبهم.

الشبهة العشرون:

قالوا: وهناك رواية أخرى نقلها البخاري ومسلم عن الموطأ، وهي مجيء اليهود للنبي ليحكم بينهم في رجل وامرأة زنيا، وأنهم أخفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم حد الرجم الموجود في التوراة وأحكامها، وقد كشف خبثهم ومكرهم عبدُ الله بن سلام، وحكم النبي صلى الله عليه وسلم برجم الرجل والمرأة على حد زعمهم.

والسؤال هو: لو كان الرجم موجودًا في الإسلام واليهودية، فلماذا ذهب اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم لهم بحكم موجود عندهم أصلاً؟ ولذلك فإن الرواية ستكون مقبولة ومفهومة لو كان حد الزنا ليس الرجم، ولكن الجلد، وأراد اليهود أن يطبق على من زنى منهم حد الجلد الإسلامي وليس حد الرجم اليهودي، ولكن الرسول طبق عليهم ما هو موجود في التوراة بناء على قوله تعالى: « وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ » [المائدة: ٤٣].

الرد على هذه الشبهة:

أولا ذكر القصة: أخرج مسلم في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: « مر النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي محممًا مجلودًا. فدعاهم صلى الله عليه وسلم فقال: (هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟) قالوا:

نعم. فدعا رجلاً من علمائهم. فقال: (أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟) قال: لا. ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك. نجده الرجم. ولكنه كثر في أشرافنا. فكنا، إذا أخذنا الشريف تركناه. وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد. قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع. فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم! إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه). فأمر به فرُجم. فأنزل الله عز وجل: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ» [المائدة / ٤١] يقول: ائتوا محمدًا صلى الله عليه وسلم، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه. وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا. فأنزل الله تعالى: «وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» [المائدة / ٤٤]، «وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» [المائدة / ٤٥]، «وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» [المائدة / ٤٧] في الكفار كلها.

وفي رواية: نحوه؛ إلى قوله: «فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم فرجم. ولم يذكر: ما بعده من نزول الآية. ووردت رواية أخرى عند أبي داود ضعفها الألباني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « زَنَى رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ وَامْرَأَةٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اذْهَبُوا بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ بُعِثَ بِالتَّخْفِيفِ، فَإِنْ أَفْتَانَا بِفُتْيَا دُونَ الرَّجْمِ قَبِلْنَاهَا وَاحْتَجَجْنَا بِهَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْنَا: فُتْيَا نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِكَ.

قَالَ: فَأَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، مَا تَرَى فِي رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ زَنَيَا؟ فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى أَتَى بَيْتَ مِدْرَاسِهِمْ، فَقَامَ عَلَى الْبَابِ فَقَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أَحْصَنَ؟

قَالُوا: يُحَمَّمُ وَيُجَبَّهُ وَيُجْلَدُ، وَالتَّجْبِيهُ أَنْ يُحْمَلَ الزَّانِيَانِ عَلَى حِمَارٍ وَتُقَابَلُ أَقْفِيَتُهُمَا وَيُطَافُ بِهِمَا. قَالَ: وَسَكَتَ شَابٌّ مِنْهُمْ. فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَكَتَ أَلَظَّ بِهِ النِّشْدَةَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّا نَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ الرَّجْمَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَمَا أَوَّلُ مَا ارْتَخَصْتُمْ أَمْرَ اللَّهِ؟

قَالَ: زَنَى ذُو قَرَابَةٍ مِنْ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِنَا، فَأَخَّرَ عَنْهُ الرَّجْمَ. ثُمَّ زَنَى رَجُلٌ فِي أُسْرَةٍ مِنْ النَّاسِ، فَأَرَادَ رَجْمَهُ- فَحَالَ قَوْمُهُ دُونَهُ، وَقَالُوا: لَا يُرْجَمُ صَاحِبُنَا حَتَّى تَجِيءَ بِصَاحِبِكَ فَتَرْجُمَهُ. فَاصْطَلَحُوا عَلَى هَذِهِ الْعُقُوبَةِ بَيْنَهُمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ بِمَا فِي التَّوْرَاةِ. فَأَمَرَ بِهِمَا فَرُجِمَا. قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَبَلَغَنَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِمْ «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا».

ثانيا:- يتبين من مطالعة رواية مسلم أن الرجم كان موجودًا في اليهودية والإسلام؛ وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم استحلفهم بالله أن يخبروه عن حد الزاني في التوراة لما رأى منهم التحريف، ثم رجمهما النبي صلى الله عليه وسلم إحياءً لأمر الله بعد أن أماتوه، ومما يؤيد ذلك قولهم: « ائتوا محمدًا فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه. وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا».

فاليهود يعلمون أن الرجم موجود في الإسلام إلا أنهم اعتقدوا أنه ربما يكون قد حُرف فيه كما حرفوه في شريعتهم، ولا يستقيم كلام المدلسين النافين لحد الرجم حيث قالوا: « ولذلك فإن الرواية ستكون مقبولة ومفهومة لو كان حد الزنا ليس الرجم، ولكن الجلد وأراد اليهود أن يطبق على من زنى منهم حد الجلد الإسلامي وليس حد الرجم اليهودي» ؛ إذ إن التخيير لا يمكن أن يكون بين الجلد والتحميم، والجلد، وإنما بين التخفيف الذي حرفوه « الجلد والتحميم « والتشديد الذي جاءت به التوراة وجاء به الإسلام « الرجم.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

الوصية الأخيرة للعلامة عبد الرزاق عفيفي قبل وفاته

في المؤتمر العلمي الثالث عن الشيخ عبد الرزاق عفيفي

قام بالتغطية: جمال سعد حاتم - محمد محمود فتحي

وصية فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي قبل وفاته -رحمه الله-:

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فأوصيكم أولادي وأقربائي وإخواني بتقوى الله وطاعته، والوقوف عند حدود شريعته، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تتمسكوا بما صح من سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة، وإياكم والشذوذ؛ فإن من شذَّ شذ في النار، وإياكم ومخالطة الأشرار؛ فإنها عار وشنار، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا في الله متحابين؛ يكتب الله لكم العزة والقوة، ويمددكم برحمة منه وفضل، وصلوا الأرحام، واجتنبوا القطيعة؛ فإن من وصل الرحم وصله الله، ومن قطعها قطعه الله، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأكرموا الضيف، وارحموا الضعيف، وافعلوا الخير لعلكم ترحمون.

أهلي! أولادي!

إذا أنا مت؛ فإياكم والنياحة، والندب، والصياح، ولطم الخدود، وشق الجيوب، ودعوى الجاهلية؛ فإنها مسخطة للرب، مضرة للعبد.

أولادي!

إذا أنا مت؛ فليغسلني رجل من إخواني أهل الخير، وليصل عليَّ أهل التقوى والصلاح، وليعجل بدفني في الدولة التي أموت فيها، ومن أحبني؛ فليخلص لي الدعاء بالمغفرة ورحمة الله ورضوانه، وإن أحب أن يتصدق بشيء لله من ماله، فليفعل عسى الله أن ينفعني بذلك وينفعه به.

أولادي!

ليرحم كبيركم صغيركم، وليوقر صغيركم كبيركم، والحذر الحذر من الأثرة والتكالب على الدنيا، فإن متاعها قليل، وحطامها إلى الفناء، والآخرة هي دار القرار.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

مناسبة ذكر هذه الوصية:

وقد جاءت هذه الوصية ضمن ما نُشر عن الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي في المؤتمر العلمي الثالث، والذي عقدته إدارة المشروعات برئاسة الشيخ أسامة سليمان مدير إدارة المشروعات بالمركز العام تحت رعاية الرئيس العام الدكتور عبد الله شاكر، وبحضور ممثلين لفروع أنصار السنة المحمدية في أنحاء مصر، وهو المؤتمر العلمي الثالث الذي عُقد بالمركز العام على غرار المؤتمرين اللذين عقدا للإمامين الجليلين محمد حامد الفقي مؤسس الجماعة، والعلامة المحدث أحمد محمد شاكر، عليهما وعلى شيخنا رحمة الله تعالى.

وقد ألقى الوصية الأخيرة للشيخ إبنه الأستاذ محمود عبد الرزاق ضمن ما نُشر

من أبحاث أعدها الباحثون من جماعة أنصار السنة منذ مولده عام ١٩٠٥م في بلد شنشور منوفية ١٣٢٣هـ، وإتمامه حفظ كتاب الله تعالى، والمراحل العلمية التي مر بها حتى حصل على شهادة العالمية من الأزهر الشريف عام ١٩٣٢م، ثم حصوله على شهادة التخصص في الفقه المالكي وأصول الفقه التي تعادل الدكتوراه الآن، حتى تم تعيينه شيخًا لمعهد شبين الكوم الأزهري.

ثم تناولت الأبحاث المقدمة جهود الشيخ الدعوية في مصر بعد رئاسته لفرع أنصار السنة بالإسكندرية ثم نائبًا للرئيس العام لأنصار السنة آنذاك الشيخ حامد الفقي أول رئيس للجماعة بعد تأسيسها، ثم رئيسًا لجماعة أنصار السُنَّة بعد وفاة مؤسسها «رحمهم الله» لمدة عام، ثم سفره بعد ذلك للمملكة العربية السعودية للعمل؛ حيث كان في طليعة من رُشِّحُوا من العلماء ورجال العلم والتربية للمشاركة في النهضة العلمية السعودية التي وضع لبناتها الأولى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود طَيَّبَ الله ثراه.

وقد عمل الشيخ «رحمه الله» تعالى عقب وصوله إلى المملكة العربية السعودية بالتدريس لمدة عامين في دار التوحيد بالطائف، ثم في معهد عنيزة العلمي بالقصيم، ثم في معهد الرياض العلمي، ثم بكليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض، ثم بالمعهد العالي للقضاء سنة ١٣٨٥هـ حتى سنة ١٣٩٠هـ، وكان الشيخ قد وصل إلى سنِّ التقاعد فانتقل إلى اللجنة الدائمة للإفتاء؛ حيث كان عضوًا بها ضمن أربعة علماء كان هو أحدهم، ثم أصبح بعد ذلك نائبًا لرئيس الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ورئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز «رحمه الله تعالى» وذلك حتى وفاته عام ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

ثم تناولت الأبحاث المقدمة للمؤتمر من كل من الشيخ عادل السيد والشيخ عبدالكريم عبدالمجيد والمهندس عاطف التاجوري والشيخ عبدالمعطي السيد من الإسكندرية. عن الجهود العلمية للشيخ ومؤلفاته في شتى العلوم والتي تُعد تراثًا ينهل منه طلاب العلم والعلماء على حدٍ سواء، وسيرة الإمام الراحل والذي وصفه الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية آنذاك وأحد مؤسسي النهضة العلمية الأوائل في المملكة العربية السعودية قائلاً: (هذا الرجل ذهب خالص)، وأنه كان يعرض القضاة قبل تعيينهم على الشيخ عبد الرزاق، فإن رأى الشيخ عبد الرزاق أهليتهم للقضاء عيَّنهم الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وإلا فلا!!

وقد ذكر الشيخ عبد الله بن قعود - عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة سابقاً - أن الشيخ عبد الرزاق أول قدومه إلى المملكة أعطاه الشيخ ابن إبراهيم كتاب الإنصاف للمرداوي في الفقه الحنبلي، وطلب منه أن يقرأه، فقال الشيخ عبد الرزاق: لقد قرأته فلم أر مؤلفه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من أول الكتاب إلي آخره إلا ثلاث مرات، فكانت هذه الحادثة من أسباب إعجاب الشيخ ابن إبراهيم بالشيخ عبد الرزاق - رحمهما الله تعالى.

وإنه لجميل أن تعرف هذه الأمةُ للعلماء فضلهم، وتحفظ حقهم، وتُجِلُّ قدرهم، وتُنْزِلهم منازلهم اللائقة بهم، بوصفهم معالم هداها ومصابيح دُجَاهَا».

رحم الله شيخنا العلامة عبد الرزاق عفيفي، ونفع المسلمين بتراثه وسيرته العطرة، ورحم الله مشايخنا وعلماءنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الآن

مفاجأة سارة

موسوعة التوحيد ببلاش !!



- بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأنحاء الجمهورية .
- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .
- استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقدَّم ؛ فقط ادفع ٧٥ جنيهاً بعد الاستلام على عشرة أشهر .
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له

أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزَكًّى من الفرع .



هدية قيمة لكل من يحصل على كرتونة المجلدات من مجلة التوحيد

٨ شارع قولة - عابدين
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦